أخبار أبي نواس

تأليف

ابن منظور الأنصاري

صاحب لسان العرب

عني بتحقيقه

شكري محمود الأحمر

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه صفحات مطوية من حياة أبي نواس الحسن بن هاني ، وآثار أنف من قصائده واشعاره ، واخبار طريفة لعصبته الخليعة ، وصحبته الماجنة الظريفة ، عنى بها عالم العربية الجليل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأنصاري المتوفى ٧١١ هـ — ١٣١١ م صاحب المعجم الشهير لسان العرب (١) .

ولقد قضيت في تحقيقها ، والتعليق عليها ، وقتاً غزيراً ، وعهداً طويلاً ، أبحث بين خزانات الكتب عما ورد فيه من أخبار وأشعار ، مدققاً فيما ينفعني في تصحيح الكتاب . لأن الأصل الذي نقلت عنه نسختي رديء الخط ، مملوء بالتصحيف والتحريف ، حتى استوى الكتاب كما يراه القارئ .

وقد اثبتت فيه كل ما وجدته من أحداث وقصص وأشعار على رغم ما فيها من بذاءة في القول ، وفحش في التعبير ، واستهتار بالعبارات ، وتسمية الأشياء بأسمائها . ولو اني حذفت ما فيه من اقذاع وفحش لزالت

---

(١) اعظم معجم في اللغة العربية يقع في عشرين جزءاً . وله غير هذا المعجم كتاب نثار الأزهار في الليل والنهار ومختصر الاغاني في ثمانية اجزاء ، واخبار أبي نواس هذا .

قيمة الكتاب ، وذهبت جدته ، واصبح كبقية كتب الأدب ليس فيه ما يشوق القارئ للمتابعة ، ويدفعه على المطالعة ، لذلك ، وللامانة في النقل أبقيته كما هو لم أحرم منه حرفاً واحداً .

ولأن تسجيل هذه الأحداث كما هي تعرض لنا صورة لأبي نواس العالم الفقيه المتحدث المتكلم الشاعر الماجن طريفة ممتعة كتبها لنا فخر العربية ابن منظور ، وحسبنا به عالماً في ذروة أعلام العربية وأدبائها .

ولابد من الاشارة إلى أن النسخة الأصلية خالية من العناوين كبقية الكتب القديمة ، فوضعت لها عناوين ، وفصلت كل قصة عن اختها .

شكري محمود أحمد

عجبت من ابليس

جرى في مجلس سفيان بن عيينة [١] حديث يروى عن مالك بن دينار انه ذكر ابليس فقال : « وما ابليس ! والله لقد عصى فما ضرّ ، ولقد أطيع فما نفع » فقال رجل لسفيان : « يا أبا محمد ! أنشدك للحسن بن هاني في هجاء ابليس شيئاً مطبوعاً ، قال : هات فأنشده :

عجبت من ابليس في تيهه ... وخبث ما اظهر من نيته

تاه على آدم في سجدة ... وصار قواداً لذريته

فضحك سفيان ثم قال : « وابيك لقد ذهب مذهباً ، وقال قولاً ، وما ينفك من ملحه » . وقصة البيتين أن أبا نواس كان يتعشق غلاماً في اصحاب الخرسي [٢] يقال له « يعقوب » مشهوراً بالجمال ، فكان يتبعه ويشكو اليه وجده به فلا يكلمه . فكان أبو نواس يأخذ بيد الحسن بن المنذر في كل وقت فيقف في اصحاب الخرسي ليراه ، فمكث بذلك حيناً الى أن وعده أن يزوره مرة بعد أخرى فلم يف له ، فوقف له يوماً فكلمه ، وشكا له وجده به ، وطول عشقه له ، وانه قد وعده مرة بعد أخرى

---

* ذكر الجاحظ هذا الخبر باسناده الى أبي حازم الاعرج « البيان ج٣ ص ١٠١ »

(١) من اشهر محدثي القرن الثاني للهجرة ، لم ير محدثاً قط صاحب اخبار كان أجود منه حذقاً ، وأحسن اختصاراً للحديث .

(٢) المزينة الموضع ، والخرسي نسبة الى خراسان ، يقال خرسي وخراسي وخراساني . وقد كان صاحب شرطة بغداد في ايام المنصور ، ونسبت اليه هذه المحلة التي في شرقي بغداد . والكرخ لفظة ازامية معناها القلعة .

فغدر به . فقال له ويحك ! قد فضحتني وشهرتني فما الذي تريد ؟ ! قال يا سيدي : تفي لعبدك بوعدك ، قال : ويلك لو عزمت على ذلك وكنت ادخل منزلك خفت الشهرة . فقال : تخرج كأنك تتنزه في الكرخ فنجتمع هناك في حانة اختارها لك ، لا يكون معنا فيها أحد من خلق الله إلا الخمار . فقال : أما بالنهار فلا أقدر ، ولكن اذا حان انصرافي من السوق وقفت لي ، قال : نعم ، واشتد فرحه بذلك ، واستطال ذلك اليوم ، فلما كان وقت انصرافه وقف له فجاءه ، فقال له : تقدمني حتى صارا الى حانة نظيفة ، قد أعد لهما فيها طعاماً طيباً ، واصنافاً من الرياحين ، والفاكهة فقعدا ، ليس معهما إلا الخمار يخدمهما . فظل في كل ما تمنى الى أن اصبح فادلج الغلام الى السوق ، وأقام أبو نواس هناك مصطبحاً . وقال في ذلك :

يا ذا الذي يخطر في مشيته	قد صفف الشعر على جبهته
قلبي على ما كان من شقوته	صب بمن يهوى على جفوته
أضمر في البعد عتاباً له	فان بدا أنسيت من هيبته
مصدغ تثنيه أعطافه	أميس خلق الله في مشيته
لو أمكن الصوفيّ في خلوة	« غامله » الشيخ على عفته[1]
وليلة قصرها طولها	بالكرخ إذ متعت من رؤيته
ليس يرى خلوتنا ثالث	إلا الذي نشرب من قهوته
أشرب من ريقته مرة	ومرة أشرب من فضلته

(١) هذا أقدم نص وردت فيه كلمة صوفي .

خمرته في الكأس ممزوجة ... كالذهب الجاري على فضته
وكلما عضض تفاحة ... قبلت ما يخرج من عضته
سرت حميا الكأس في رأسه ... ودبت الخمرة في وجنته
حتى اذا ألقى قناع الحيا ... وذاب كحل النوم في مقلته
ملكني حل سراويله ... إذ شغلته الراح عن تسكته
فصار لا يدفع عن نفسه ... وكان لا يأذن في قبلته
دب له ابليس فاقتاده ... والشيخ نفاع على لعنته

أطول قبلة

قال الجاز : كان أبو نواس يتعشق رحمة بن نجاح ، وكان يغشى ديوان الخراج ، فعلم رحمة بذلك ، وكان يتغيظ منه . فأتاه يوماً واغتفله فذهب يعانقه ، فاختلس قبلة من خده ، فعجل الى مكان القبلة فمسحها ، وخجل من حيلة أبي نواس عليه . وانشأ أبو نواس يقول :

يا ماسح القبلة من خده ... من بعد ما قد كان اعطاها
خشيت أن يعرف اعجامها ... أبوك في الخد فيقراها
ولو علمنا انه هكذا ... كنا اذا بسنا مسحناها
أو لتركنا شكل اعجامها ... ولامها منها حذفناها
فصار في موضعها قبة ... للحسن في وجهك صغناها

تخمة في المعاصي

دخل أبو نواس بعد نسك على قوم من اخوانه ، وعندهم شراب

ومغني ، فعرضوا عليه الجلوس فأبى ، واخذ الدواة والقرطاس وكتب :

أيا من بين باطيـة وزق	وعود في يدي غانٍ مغني
اذا لم تنه نفسك عن هواها	وتحسن صونها ، فاليك عني
فاني قد شبعت من المعاصي	ومن ادمانها ، وشبعن مني
وهل أسوا وأقبح من لبيب	يرى متطرباً في مثل سني !

ساقية ... للرشيد

قال اسماعيل بن صبيح : قال لي الرشيد : ابغني وصيفةً ، مليحة ، فطنة ، مقدودة ، مشكلة ، حلوة ، متكلمة ، ظريفة ، عالمة تسقيني ، فان الشرب من يد مثلها يطيب ، فقلت : يا سيدي علي الجهد ، فقال : اجعل في هذا قول العيار [1] أمامك ـ يرحمك الله أبا نواس ـ :

من كف ساقية ناهيك ساقية	في حسن قد ، وفي ظرف وفي أدب
كانت لرب قيان ذي مغالبة	بالفسق محترف ، بالكشخ مكتسب [2]
فقد رأت ووعت عنهن واختلفت	ما بينهن ، وما يهوين بالكتب
حتى اذا ما غلا ماء الشباب بها	وافعمت في تمام الجسم والعصب
وجمشت بخفي اللفظ فانجمشت	وجرّت الوعد بين الصدق والكذب
تمت فلم ير انسان لها شبهاً	فيمن برا الله من عجم ومن عرب

---

(١) العيار من أعيا الناس حيلة ومكراً . انظر في هذا مقالة لنا بمجلة الرسالة العدد ٧٠٤ بعنوان الشطار والعيارون

(٢) الكشخ الجمع بين الرجال والنساء لريبة .

قال اسماعيل : فوالله ما قدرت على جارية فيها بعض ذلك ، وأول هذه القصيدة :

ساع بكأس الى ناش على طرب كلاهما عجب في منظر عجب

لا يعرف « ناش » بمعنى منتشي ، على أن أبا نواس في ذلك حجة ، وقيل إن من رواه بالسين المهملة فقد غلط فيه ، والرواية بالشين المعجمة ، واجمل من هذا قوله في ساقية :

غلام ، وإلا فالغلام شبيهها وريحان دنيا ، لذة للمعانق
تجمع فيها الشكل والظرف كله فليس يجاري وصفها قول ناطق
فطانة زنديق ، ولحظة قينة بعين الذي يهوى ، ومنية عاشق
وتقطيب سجني ، وتكريه شاطر ونظرة جني ، ولحظ منافق

زواج المأمون

لما عقد المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل ، اهتم الحسن بذلك همة مثله لمثل المأمون ، وكان اعجب ما عمل فيه النثار الذي نثر في الاملاك عليها ، وذلك انه عمد الى الضياع والعقارات والبساتين والأملاك والحمامات وغير ذلك ، فكتب أسماءها ، كل اسم في رقعة ، ودرجها وجعلها في بنادق من عنبر معجون بمسك ، ونثرت تلك البنادق على الناس ، فالتقطها الحاضرون ، فكل من التقط شيئاً فتحه ، واخذ الرقعة منه ، واحضرها الى الحسن بن سهل .

ولما دخل المأمون عليها جلس على حصير من ذهب ، وقد نسج في

الحرير ، كما يفعل في الحصر ، وجعلت قضبان الذهب ممدودة بدلا من الأسل ، والابريسم مكان الخيوط ، وجيء بمكيال من ذهب مرصع بالجوهر ، فيه جواهر مختلفة الأصناف والألوان والأثمان . ونثر منه كبار الجواهر من الدر الفاخر ، واللؤلؤ والياقوت الذي ثمن كل حبة منه بألوف ، على تلك الحصر .

وكان أهل المأمون من الهاشميات قياماً ؛ وفيهن زبيدة بنت جعفر وحمدونة بنت الرشيد وغيرهما . فتكبرن ان يلتقطن فقال المأمون : ما هذا الوجوم ؟ اكرمنها ؛ فانثنين تطرفاً وامتثالاً لأمره ، وبقي أكثر الجواهر على الحصر ، فقال المأمون : لله در ابن هاني حيث يقول :

كأن صغري وكبري من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب[1]

كأنه شاهد هذا المجلس .

حدث ابو نواس قال : انه غاب عن بغداد ، فقدم اليه رجل منها ؛ فقال له : هل من خبر ؟ فقال : نعم ، خبر ظريف ، : انشد بعض الشعراء زبيدة مدحاً وهي تسمع فقال :

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزائرك الشاب

---

(١) غلط ابن هشام في المغني أبا نواس في هذا البيت لقوله : صغرى وكبري ، لأن الوجه استعمال فعلى العلم بـ « ال » أو بالاضافة . وقد غلط ابن هشام نفسه اذ جعل عنوان موضوعه : انقسام الجملة الى « صغرى وكبرى » لكن أبا نواس حجة في اللغة اذ ان الوجه اعتبار « من » زائدة . وقوله صغرى وكبرى مضافتان ، على حد قول الشاعر : بين ذراعي وجبهة الاسد .

تعطين من رجليك ما تعطي الأكف من الرغاب

فوثب اليه الخدم ليضربونه ، فمنعتهم من ذلك ، وقالت : دعوه ، من اراد لنا خيراً فأخطأه أحب الينا ممن طلب شراً فأصابه ، سمع قول الناس « شمالك أفيد من يمين غيرك ، وقفاك أحسن من وجه غيرك ، فظن انه اذا قال كذا كان أبلغ في المدح ، أعطوه ما أمله وعلموه ما جهله .

قال ابو نواس : فقلت له ، والله لو ورد هذا الحكم على ابى العباس جدها الذي كان النهاية في العقل ، ما كان عنده من الحلم والاحتمال أكثر من هذا . وكانت زبيدة أعقل الناس وافطنهم .

مصالتة

قال الحسين بن الضحاك : حججت فلقيت أبا نواس منصرفاً من الخصيب بمكة ، وهو يطوف ، فسألني عما أحدثت بعده فأنشدته :

كأنما يعب في كاسه قر يكرع في بعض أنجم الفلك

فأنشدني بعد أيام :

اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

فقلت : يا أبا علي هذه مصالتة ، فقال : أتظن أنه يروى معنى حسناً وأنا في الدنيا ؟ . واخذ الناس هذا المعنى فقال ابن الرومي :

فكأنها وكأن شاربها قر يقبل عارض الشمس

من شعر الشباب

ومن شعر أبي نواس :

عفا المصلى واقوت الكثب ... منى فالمربدان فاللبب
منازل قد عمرتها يفعاً ... حتى بدا في عذاري الشهب
في فتية كالسيوف هزهم ... شرخ شباب ، وزانهم أدب
ثم اراب الزمان فانقسموا : ... أيدي سبا في البلاد وانشعبوا
لن يخلف الدهر مثلهم ابداً ... علي ، هيهات ، شأنهم عجب
لما تيقنت ان روحتهم ... ليس لها ما حييت منقلب
ابليت صبراً لم يبله احد ... واقتسمتني مآرب شعب
لذاك اني اذا رزئت اخاً ... فليس بيني وبينه نسب

يريد مواخاته على المجون ، فلا يبكي صاحبه ؛ وذاك انه اذا مات صاحب له استبدل به غيره ، وهو مثل ضربه ، ليس أنه يغتم على موت صديق له . ثم قال :

قطربل مربعي ، ولي بقرى الكر ... خ مصيف ، وامي العنب [1]
ترضعني درهـــا ، وتلحفني ... بظلهـــا ، والهجير يلتهب
اذا ثنته الغصون جلاني ... فينان ، ما في اديمـه جرب

---

(١) قطربل : قرية بين بغـداد والمزرفة ، كان ينسب اليهـا الخمر المعتق ، والشراب الطيب ، فيها مواضع للبطالين ، وحانات للخمارين ، تقع بالنسبة لخطط بغداد اليوم في الموضع المسمى بالتاجي شمال الكاظمية . انظر لنا مقالا عنها في مجلة الرسالة العدد ٧٤١ .

الهاء في « اذا ثنته » يعود على الظل ، والفينان الظل الكثيف ، و « ما في اديمه جرب » أي لا خلل فيه .

فقمت أحبو الى الرضاع كما تحامل الطفل مسه سغب
حتى تخيرت بنت دسكرة قد عجمتها السنون والحقب (٢)
من انسج خرقاء لا يمد لها اخبيـة في الثرى ولا طنب

الخرقاء التي لا تحسن العمل ، والطنب حبل الخباء ، يقول : نسيج بغير نسيج .

اقول لما حكتهما شبهاً : أيهما في التشابه الذهب
هما سواء وفرق بينهما انهما : جامد ومنسكب

قوله « حكتهما شبهاً » يعني الفضة والذهب ، حكت الذهب صرفاً والفضة بالمزج .

ملس ، وامثالها محفرة صور فيها القسوس والصلب
يتلون انجيلهم ، وفوقهم سماء خمر ، نجومهـــا حبب
كأنه لؤلؤ تبـدده ايدي عذارى ، افضى بها لعب

يقول ان التصاوير في الأقداح قسوس في ايديهم الانجيل يقرأونه ، فعلت الخمر في الأقداح على التصاوير ، فصارت عليهم كالسماء . والحبب ما يبدو من صب المزج في الأقداح فهو كالنجوم في السماء ومن جيد شعره ما قاله لما منعه الأمين من شرب الخمر . وذلك أن المأمون أمر

---

(٢) الدسكرة : القرية والصومعة وبيوت الاعاجم ، يكون فيها الشراب والملاهي .

الخطباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبي نواس ، ويقولون هو جليسه ونديمه ، وينشدون على المنابر شعره ، فمنعه الأمين ، فقال :

غننا بالطلول كيف بلينا ... واسقنا نعطك الثناء الثمينا
من سلاف كأنه كل طيب ... يتمنى مخير ان يكونا (١)
أكل الدهر ما تجسم منهـا ، ... وتبقى لبابهـا المكنونا
ثم شجت فاستضحكت عن لآل ... لو تجمعن في يد ، لاقتنينا
في كؤوس كأنهن نجوم ... باديات بروجهـا ايدينا
طالعات مع السقاة علينا ... واذا ما غربن ، يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد ... قلت قوم من قرة يصطلونا
وغزال يديرها بيناني ... ناعمات ، يزيدها الغمز لينـا
كلمـا شئت علني برضاب ... يترك القلب للسرور قرينا
ذاك عيش لو دام لي غير اني ... عفته مكرهاً وخفت الأمينا
أدر الكاس حان ان تسقينا ... وانقر الدف انه يلهينـا
ودع الذكر للطلول اذا ما ... دارت الكاس يسرة ويمينا

العباسة اخت الرشيد

كانت العباسة اخت الرشيد تحت محمد بن سليمان ، فتوفي عنها فورثته ثم تزوجها ابراهيم بن صالح ، فولاه الرشيد مصر فتوفي بها وورثته فخطبها عيسى بن جعفر فقال المهلهل الشاعر :

---

(١) السلاف في صفات الخمرة ، وهي لفظة فارسية مكونة من سول أي عذب وآب بمعنى ماء .

أعبّاس انت الذعاف الذي ... يصل اليه رقي النافث
قتلت عظيمين من هاشم ... وانت على طلب الثالث
فمن ذا الذي غمه ماله ... يعرض بالمال للوارث

فلم يتزوجها عيسى بن جعفر ولا غيره حتى ماتت ، وفيها يقول ابو نواس

ألا قل لأمين الله وابن القادة الساسه
إذا ما ناكث سرك ان تفقده راسه
فلا تقتله بالسيف ، وزوجه بعباسه

مشافهة الاحداث

لما ولى هارون اسماعيل بن صبيح ديوان الرسائل بعد البرامكة ، وكان كاتبهم فسعى بهم ، استخلف ابنه محمداً عليه وكان أمرد حسن الوجه جداً فقال لأبي نواس : يا أبا علي ! ادخل على ابني محمد فحدثه وأنشده ، فدخل اليه ، فكان أول ما أنشده :

قبلة منك نيكة من سواكا ... وهما في القياس عندي كذاكا
فاذا ما رأيت وجهاً مليحاً ... كان حظي من نيكه ان اراكا
بأبي أنت من بديع جمال ... فاق حسن الوجوه حسن قفاكا
خلق الناس كي يسوسوا أموراً ... قلدوها ، وانت كيما تناكا

فبلغ ذلك أباه ، فلقيه فقال له يا أبا علي ! سبحان الله ، أيمثل هذا تشافه الأحداث ؟ فقال : كذا رزق ابنك على لساني ، وهو احوج اليه .

اسقني حتى . . .

ومن شعر ابي نواس قصيدة امتدح بها العباس بن عبيد بن ابي جعفر المنصور :

غرد الديك الصدوح ... فاسقني طاب الصبوح
اسقني حتى تراني ... حسناً عندي القبيح
قهوة تذكر نوحا ... حين شاد الفلك نوح
أنا في دنيا من العبا ... س اغدو واروح
بح صوت المال مما ... منك يشكو ويصيح
ما لهذا آخذ فو ... ق يديه ، أو نصيح
جدت بالأموال حتى ... قيل : ما هذا صحيح
صور الجود مثالاً ، ... وله العباس روح

وقوله هذا مأخوذ من قول الشماخ في عرابة .

ما كان يعطي مثلها في مثله ... إلا كريم الخيم أو مجنون

القصيدة الابراهيمية

كان ابو نواس قد صحب ابراهيم بن سيار النظام وهو صبي ، فاخذ عنه ثم فارقه وعاد اليه بعد ذلك . وكان النظام يدعوه الى مذهب المعتزلة والقول بالوعيد ، وينهاه عن أفعاله ، ويقول له ان الكبائر مخلدات في النار . وان مذهب المعتزلة هو الحق ، فأبى ان يجيبه الى ذلك ، وفارقه

وهجاه ، فمما عرض به في هجائه قوله في هذه القصيدة التي تسمى بالابراهيمية فامتنع عن مجالسته وطرده :

دع عنك لومي فان اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر ... لها محبان : لوطي وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر ... فلاح من ضوئها في البيت لألاء
فارسلت من فم الابريق صافية ... كأنما أخذها بالعين اغفاء
جفت عن الماء حتى ما تمازجه ... لطافة ، وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نوراً لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية دان الزمان لهم ... فما يصيبهم إلا بما شاؤا
لتلك أبكي ، ولا أصبو لمنزلة ... كانت تحل بها هند واسماء
حاشا لدرة أن تبنى الخيام لها ... وأن تروح عليها الابل والشاء

ثم قال يخاطب ابراهيم بن سيار النظام معرضاً به :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة ... حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
لاتحظر العفو إن كنت امرأ حرجاً ... فان حظرك في الدين أرزاء

قال أبو حاتم السجستاني : اختلف الناس في هذه القصيدة وقصيدة الحسين بن الضحاك التي مطلعها :

بدلت من نفحات الورد بالآء
ومن صبوحك در الابل والشاء

قال ... [1] فلقينا اعرابياً وسألناه فقال : انشدوني ، فانشدناه قصيدة الحسين بن الضحاك فلما فرغنا منها قال : أعيدوها : فان النظرة الأولى فلوت ، فاعدناها عليه ، فاستحسنها ، ثم قال : هاتوا الأخرى فانشدناه :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فقال هذا البيت كفى للقصيدة الأولى ، وتركنا وانصرف .

قال ابن الاعرابي يوماً : انشدوني بيتاً أوله اكثم بن صيفي في اختيار الرأي ، وآخره ابن ماسويه الطبيب في المداواة ؛ فقالوا ما نعرفه ، فقال : « دع عنك لومي فان اللوم اغراء

قال ابو نواس : كنت بقطربل فاشرفت على خراب ؛ فاذا شيخ سكران قد قضى حاجته وفرغ ، فأخذ حجراً يابساً واستنجى به ؛ فقلت : اسخن الله عينيك من شيخ ؟ ما هذا الذي تعمل ؟ فقال : اخذت هذا من قولكم : « وأخرى تداويت منها بها » .

قاضي و ... دواء الخمار

اصبح المأمون يوماً مصطبحاً ؛ فدخل عليه يحيى بن اكثم ؛ فأراد أن يعاتبه فقال : قد اصبحت مخموراً ، فدلني على شيء انفي به خماري ،

---

(١) في الأصل فراغ ، وفي الديوان الذين احتكموا اليه ابن ميادة بمكة ، والآء : شجر يدبغ به ، واحدته بهاء ، وهو شجر الدالة عندنا ، والدر : اللبن تسمية بالمصدر .

فقال له : يا امير المؤمنين ! ادلك من كتاب الله وسنة رسوله — وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً — وقال من كتاب الله وسنة رسوله ؟ ! فقال : نعم يا امير المؤمنين ، قال : قل ، فقال : قال الله تعالى : « وما اتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ... » وقال رسول الله ﷺ : « استعينوا على كل صنعة بصالحي اهلها » ونظرت في هذه الصناعة فلم اجد فيها احذق من الأعشى وأبي نواس ، وقد قال الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس اني امرؤ أتيت اللذاذة من بابها

ثم تلاه ابو نواس في الاسلام فقال :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فليستدع امير المؤمنين رطلاً يشربه ينفك عنه الخمار . قال المأمون : قاتلك الله ، والله ما رأيت من يأمر بالفسق من كتاب الله وسنة رسوله سواك .

ديانة

مر أبو نواس في بعض سكك البصرة ، ومعه حمدان بن بشر ، وكان يقود عليه ، فاستحيا فقال حمدان لأبي نواس : تقدمني حتى اتبعك ، فقال له أبو نواس : لا بل أنت تقدم وأنا اتبعك ثم انشد :

أقول لحمدان بن بشر مجاوباً وقد رشقتنا بالعيون النواظر
واطرق منه الرأس ثم قال لي : تقدم قليلا انني متأخر
تقدم قليلاً يعرف الناس أمرنا بأنك قواد ، وأني مؤاجر

فتى الفتيان

لما كان أبو نواس في أول أمره في العطارين يبري عود البخور ، كان له استاذ يكنى أبا الأزهر ، فتزوج أبو الأزهر امرأة لم تلبث معه حتى سألته الطلاق فطلقها ، ثم تزوج أخرى فكانت كذلك . فتقر عن أمره مع المرأتين ، فوجد أبا نواس يغرر بهن ، ويبلغه ما لم يقله ولم يفعله ، فقال له : ما الذي حملك على هذا ؟ فقال : سمعت انه من لم يضر ولم ينفع فليس من الناس ، وانا صبي لا اقدر على النفع ، فقلت اضر لأدخل في جملة الناس ، فقال اذهب فوالله لا تفلح ابداً .

قال أبو نواس : سبقني والبة بن الحباب الى بيتين قالهما ، تمنيت اني قلتهما ، وسبقته اليهما ، وهما :

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى
لشرب صبوح أو لشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى
لضر عدو أو لنفع صديق

أيام العجوز

قال علي بن العباس : وجه بي الى الأمير عبيد الله بن عيسى الى السندي ابن صدقة ، والسندي احد وجوه مدينة السلام وادبائها ؛ فأتي عنده إذ دخل عليه رجل اسمر طويل معتدل ، حسن الوجه ، اسود اللحية ، بعارضيه نبذة بياض ، وعليه بزة حسنة ، وفي رجليه نعل رقيقة ، فلما بصر به السندي قام اليه واجله ، فأنشده الفتى قبل قعوده :

اذا انكسرت عليك دلفت نحوي ... وإن قامت فأنت غراب نوح

وإن صرنا اليك تريد شربا ... برزت لنا اجمّ على جموح

فقال له السندي : اسكت ولا تزد ، فامسك وقعد ، وسأله السندي : أفي هذا اليوم البارد في رداء ونعل ؟ فقال : قد قلت في هذا بيتين وعدلت بهما عليك ، قال : وما هما ؟ فأنشده :

ويوم من ايام العجوز كأنما ... وجوه الندامى فيه بالثلج تلفح

جعلنا صلاه الراح فالتهبت بنا ... واوقدت الاجواف ، فالجلد يرشح

خاتم أبي نواس

ذكر سفيان بن عيينة يوماً أبا نواس فقال : كان والله ظريفاً حاذقاً حكيماً ، قرأت نقش خاتمه « الكبر ذل » وهو نقش الحكماء . وحدث من رأى أبا نواس قال : كان نقش خاتمه :

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك اعظما

قال سفيان بن عيينة : لقيت أبا نواس فقلت له : احب أن تنشدني من شعرك شيئاً تضن به على غيري فقال :

يكفي الكريم من الكلا م لمن يحادثه أقله
والشيء شيء لم يزل بأدقـــه يأتي أجله
إن لم يصبك من الكـ ريم الحر وابله فطله
يبـــدي مكارمه كما يبدي فرند السيف سله
والنذل يرفع نفســـه متعمداً فيما يذله
والحر يكرم نفسه بالصفح عمن لا يجله

مجانة وبديهة ..

قال سلمان سخطة : قدم حي من احياء العرب بادية البصرة ليمتاروا ويرجعوا . فنزلوا الأبيات ظاهر المدينة ، فقال أبو نواس يوماً : اخرج بنا الى الأبيات ، فخرجنا واستقريناها ، فلما صرنا الى آخرها ، اذا نحن بامرأة شديدة الادمة ، إلا أنها مع تلك الادمة احسن الناس وجهاً ، وانقاهم ثغراً ، واحورهم عيناً ، فوقفنا ننظر اليها ، فداعبها أبو نواس وداعبته . فاذا هي ظريفـــة آنسة ضاحكة ماجنة في الاعراب فقال أبو نواس :

هل عندك اليوم من خمر فنشربها ... أم هل سبيل الى تقبيل عينيك
فلست ابغي سوى عينيك منزلة ... إن لم تجودي لنا عفواً لخديك
أو بادريني بريق منك ارشفه ... أولمس بطنك ، أوتغميز عطفيك

فأجابته على المكان :

أنت امرؤ ليس يكفيه مقبلنا ... ولا تريد سوى الترهيز والنيك
فلم تجمجم فيما لست توضحه ؟ ... اوضح ، وقل بغيتي مابين فخذيك
اني فتاة ببذل الود سامحة ... اجيب من رامني يوماً : بلبيك

فاستظرفها أبو نواس جداً ، فكنا نحمل في كل وقت شرابنا ، فنجيء نشرب عندها مع زوجها ، وكانت وزوجها يشربان ، فلم تزل كذلك حتى ارتحلوا .

الويل للشعراء ..

جاء مسلم بن الوليد والعتابي والنميري والجرجاني ومسلم الخاسر وأبو العتاهية الى أبي نواس فقالوا : بلغنا عنك انك تحقرنا وتشتمنا ، وتستخف بنا وبأشعارنا ، فتعال حتى نهاجيك ونشاعرك ، فأنشأ يقول :

الويل للاوشاب من شعرائكم ... تتعرضون لواحد الشعراء
الله اخزاهم فجاء جميعهم ... يستمطرون صواعقي وهجائي
اهجوهم متفرقين وجملة ... هانوا علي ، وليس من اعدائي
يتشرفون بأنني اهجوهم ... حتى كأنهم من الخلفاء

فقال العتابي : قوموا بنا عنه ، فقد نهيتكم عن المصير اليه ، وهو والله اشعر منكم .

وجهك والحرام لا يجتمعان

كانت للفضل بن سهل بن نوبخت وصيفة اسمها منية فعاتبها أبو نواس فقالت له : وجهك والحرام لا يجتمعان ، فقال في ذلك :

أبت عيناي بعدك ان تناما ... وكيف ينام من ضمن السقاما
بكيت من الفراق لما ألاقي ... وراجعت الصبابة والغراما
رجعت إلى العراق برغم انفي ... وفارقت الجزيرة والشآما
على شط البليخ وساكنيه ... سلام منيم لقي الحماما
مذكرة ، مؤنثة ، مهاة ... اذا برزت تشبهها الغلاما
وقائلة لها في وجه نصح : ... علام قتلت هذا المستهاما
فكان جوابها في حسن لفظ : ... أأجمع وجه هذا والحراما ؟
لقد ربحت تجارة كل صب ... تهاديه حبيبته السلاما

المجون ... ظرف

كان العباس بن محمد يتشوق الى ابي نواس ، ويميل اليه ، فلما رآه وسمع منه ، ورأى ظرفه وكماله ، اقبل عليه وقال : يا أبا علي ! أريد أن أقول لك شيئاً فاستحييك واستحي من نفسي في ترك نصحك ، وقد بلغني انك مكب على المعاصي مشتهر بالقبائح والمجون ، فقال : ايها الأمير

أما المعاصي فاني أثق فيها بعفو الله عز وجل ، فلو ان سيدي يقول ما قاله تعالى لوثقت به ، فكيف بقول رب العالمين عز وجل وهو « يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً » . وأما المجون فما كل أحد يقدر على ان يمجن ، إنما المجون ظرف ، ولست أبعد فيه حد الأدب ، ولا أتجاوز مقداره . ثم نهض . فقال العباس : هذا والله الأدب الذي يحسن معه كل شيء .

حاجة ! ..

حدث الجماز ان ابا نواس احتاج حاجة شديدة ، واشتاق الى شرب الخمر ، وهو ببغداد فلم يقدر على ما يشتري به خمراً ، فذكر أخاً له شاعراً في بعض القرى ، فخرج اليه ، فوجد صاحبه اسوأ منه حالا ، عنده خابية شراب لا غير ، فقال له : ما حالك ؟ فقال : والله ما عندي ما آكل فاشرب عليه ، فقال له ابو نواس : أما هاهنا أحداً نمدحه : فقال : هنا رجل من مضر يكنى أبا مالك ، اذا مدحته مدحني ، وان هجوته هجاني مثلاً بمثل ، فنظر ابو نواس في شعر المضري ، فاذا هو شعر متكلف ، فدعا بالدواة وكتب اليه :

قل لأبي مالك فتى مضر ... مقال لا مفحم ولا حصر
جئناك في ميت تكفنه ... ليس من الجن لا ولا البشر
لكن ميتاً عظامه خزف ... واللحم قار ، والروح في عكر
ليس لنا ما به نكفنه ... فكفن الموت يا أخا مضر

يا لك ميتاً صلاة شيعته عزف عليه ، والنقر بالوتر

فلما قرأ المضري الشعر أقبل يحشمه وغلمانه ، لما عرف ان أبانواس عنده وانه هو الذي قال الشعر ، ثم أكب عليه فقبل رأسه ، واعتذر اليه ان لا يكون علم به فاستقبله ، وحول اليهما ما احتاجا اليه ، واقام عندهما يومه ذلك ، وأمر لأبي نواس بخمسة آلاف درهم ، ولصاحبه بثلاثة آلاف درهم

الظرف والادب

قال ابراهيم بن المهدي : قلت لمحمد الأمين ، ما رأيت كما أظهرت من التهتك ، وخلع العذار ، وتخلية نفسك وهواك ، حتى لقد نادمت ابا نواس ، وهو خليع الفكر ، مشهور بالمجون والتهتك ، فنظر إلي نظرة منكرة وقال : الساعة ترى ، هاتوا ابانواس ، فلما جاء سلم وجلس ناحية ، فقال الأمين : هاهنا فادناه حتى حك بركبته ركبته ، وأقبل ينشده ويحادثه من كل ضرب ، ثم قام لبعض حوائجه ، فقال الامين : يا ابراهيم ! من يصبر عن مثل هذا ولا يحتمل فيه كل شيء ؟ . والله ان هذا يحسن منه كل ما يأتي به . فعلمت ان الذي قاله الأمين حق ، وما رأيت في الدنيا مثله قط .

وعين الرضا

لقي ابو نواس مسلم بن الوليد فقال له : يا حسن حدثني عن قولك :

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان علي مأثور القبيح

لم جعلت فرسك جموحا ، وسميت هواك قبيحاً ؟ فقال: يامسلم الجموح ابعد الافراس وابطؤها فتوراً ، وسميت اللهو قبيحاً إيثاراً للعقل لا للجهل وبقية هذه القصيدة :

وجدت ألذ عادية الليالي ... قران النغم بالوتر الفصيح
تمتع من شباب ليس يبقى ... وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح
وخذها من مشعشعة كميت ... تنزل درة اللحز الشحيح[1]
ألم ترني أبحت الراح عرضي ... وعض مراشف الظبي المليح
لأني عالم ان سوف تنأى ... مسافة بين جثماني وروحي

اجتمع ابو نواس ومسلم يوماً فقال مسلم : ما اعلم لك بيتاً الا مدخولا او غثاً ساقطاً ،فانشدني أي بيت من شعرك ، فانشد ابو نواس إنشاد المدل :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا ... واملة ديك الصباح صياحا

فقال له مسلم : قف عند حجتك ؛ لم امله صياحا ، وهو الذي بشره بالصبوح الذي ارتاح له ؟ ! . فانقطع ابو نواس انقطاعا بيناً ، وجعل الجواب له معارضة فقال : انشدني انت ما احببت من شعرك ، فانشده مسلم :

عاصي الشباب فراح غير مفند ... واقام بين عزيمـــة وتجلد

فقال له ابو نواس : حسبك حيث بلغت ، ذكرت انه راح والرواح لا يكون الا بالانتقال من مكان الى مكان ، ثم قلت : واقام ، فجعلته منتقلا

---

(١) اللحز : الجبس البخيل

مقيما . وقلت عاصي الشباب ثم قلت واقام بين عزيمة وتجلد ؛ فكيف يكون ذلك مع المعاصاة ؟ فانقطع مسلم وتشاحنا وافترقا .

والبيتان جيدان بديعان ؛ ولكن من طلب عيباً وجده .

وفي قصيدة ابي نواس بعد البيت الأول في صفة الديك :

اوفى على شرف الجدار بسدفة ... غرداً يصفق بالجناح جناحا
بادر صباحك بالصبوح ولا تكن ... كسوفين غدوا عليك شحاحا
ان الصبوح جلاء كل مخمر ... بدرت يداه بكأسه الاصباحا
وخدين لذات ، معلل صاحب . ... نقنات منه فكاهة ومزاحا
نبهته والليل ملتبس به ... وازحت عنه نقابه فانزاحا
قال : اغني المصباح قلت له : اتئد ... حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
فسكبت منها في الزجاجة شربة ... كانت لنا حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها ... عطلاً ، فألبسها المزاج وشاحا
شك البزال فؤادها فكأنما ... أهدت اليك بريحهـــا تفاحا
صفراء تترس النفوس فلا ترى ... منها بهن سوى السبات جراحا

شعر وخمر

قال رزين احو دعبل : كان الأدب يجمعنا كثيراً فيؤنسنا التناشد والمذاكرة ، فاجتمعنا يوماً عند أبي نواس ؛ وهو إذ ذاك في ربض محمد بن زبيدة ، وفينا دعبل الخزاعي ، ومسلم بن الوليد وأبو الشيص ، فلما كادت الخمر ان تغلب العقول ، قال ابو نواس : قد اتفق اجتماعنا فلم لا نتمم يومنا .

بما يذكرنا به المتأدبون ؟ . فقلنا له : انه ذاك . . . فالتفت الى مسلم يقول : هات فلله احسانك في الاجابة اذا نوديت ! فاختر من شعرك ماشئت ، فليس من شاعر الا وهو يعرف حبة القلادة من شعره . فاستوى مسلم جالساً وقال : ليست بك حاجة الى مكاثرتنا ، علمنا معك من الكلام دره ، وخالص جوهره ، وانما اردت اقرارنا لك بذلك فقد سلمناه لك . فقال ابو نواس : ما لهذا قصدت ، ولكنك تريد ان تتعالى علينا بجودة شعرك فامض لما اجتمعنا عليه ، فلن ندع مشاركتك في ذلك ، فابتدأ مسلم ينشد قوله :

اجررت حبل خليع في الصباغزل وشمرت هم العذال في عذلي

فلما انتهى الى قوله :

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى الى أمل

قال ابو نواس : ما أراه يجيء بعد هذا الكلام ما يفي بوزنه ، ثم التفت الى دعبل مازحاً فقال : هات الآن ، فكأني بك قد جئت بسقط شعرك .

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

قال دعبل : هو ذاك فتجاوزني الى غيري . فقال : كلا فأين تلذذ السمع بعذوبة جيد الكلام ؟ . فجاء بها الى آخر بيت ، فقال ابو نواس أحسنت ملء فيك ، ثم التفت الى أبي الشيص فقال : الضادية الضادية ، ما خطر بخلدي قط قولك

لا تنكري صدي ولا إعراضي ليس المقل عن الزمان براضي

الا حرك مني ساكناً ، وقد اخترتها استحساناً لها . فقال ابو الشيص لا فليست عندي عقـــد در مفصل ، ولكني أكابر بغيرها من قولي وأنشد :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
واهنتني فأهنت نفسي جاهداً ما من يهون عليك ممن اكرم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم اذ كان حظي منك حظى منهم
اجد الملامـــة في هواك لذيذة حباً لذكرك ، فليلمني اللوم

فقال ابو نواس : أردت صرفك عنها فأبيت الا ان نخلي سبيلك ، قال : فكيف ترى هذا الطراز ؟ قال : أراه نمطاً حسناً ، فكيف تركت قولك :

ختلته المنون بعد اختيال بين صفين من قنا ونصال
في رداء من الصفيح صقيل وقميص من الحديد مذال

قال رزين : فعاتبني ساعة لا سمعه فابيت ، وكنت اصغر القوم سناً ودونهم في الشعر . ثم اقبلنا على ابى نواس نقول له : هيا يا ابا علي ، قد انقدنا لك في الطاعة ، فقال : هو حقكم ، ولم تدخلوا في شيء الا وانا شريككم فيه . ثم احتبى بمنديل ابيض وأنشد .

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأساً اذا انحدرت في حلق شاربها اجدته حمرتها في العين والخد

فالخمر ياقوتة ، والكأس لؤلؤة ، من كف لؤلؤة ممشوقة القد
تسقيك من طرفها خمراً ، ومن يدها خمراً ، فما لك من سكرين من بد
لي نشوتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من دونهم وحدي

فلم نملك من الطرب انفسنا فقمنا فسجدنا له ، فقال: اعملتموها اعجمية لا والله لا أكلمكم ، ثم اطرق ملياً ورفع رأسه وقال : اعلمتم ان رجلاً عتب على اخيه فكتب الأخ المغضوب عليه : يا اخي ! ان ايام العمر قصيرة اقصر من ان تحتمل الهجر ، ومن أقر بالذنب ، والزم نفسه العيب سهل بهما طريق الصفح عما فرط منه ، وايام السرور خلس ، والمقصر في تناول اللذة اذا أمكنت غير مصيب في رأي وحزم . فأنت حري في تحصيل اللذة بالمبادرة قبل الفوات .

اشعر الناس

قال دعبل : كان ابو نواس يسألني ان أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد وكان مسلم يسألني ان اجمع بينه وبين ابي نواس . فكان اذا جاء ابو نواس تخلف مسلم ، واذا جاء مسلم تخلف ابو نواس ؛ الى ان اجتمعا عندي ، فأنشده ابو نواس :

أجارة بيتينا ابوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

وأنشده مسلم قصيدته التي يقول فيها .

لله من هاشم في ارضه جبل وانت وابنيك ركنا ذلك الجبل

قال : فقلت لابي نواس : كيف رأيت مسلماً ، فقال : هو أشعر الناس بعدي ، وسألت مسلماً كيف رأيت ابا نواس ؟ فقال : أنا اشعر الناس بعده ، فعجبت من اتفاق لفظيهما . قوله ، « اجارة بيتينا » يريد جارة في البيت وجارة في النسب .

قال علي بن العباس الكوفي . كنت عند ابي جعفر محمد بن حبيب فجرى ذكر الشعراء ، فذكر الناس من شعراء الجاهلية : امرء القيس وطرفة والاعشى ، فجعلوا يقدمونهم . وذكروا شعراء الاسلام فقدموا جريراً والفرزدق . وانا ساكت فقال لي ابو جعفر : يا ابا الحسن ! لم لا تتكلم ؟ فقلت : اذكر لكم رجلا اشعر من هؤلاء فقالوا : من هو ؟ فقلت ابو نواس فقالوا : اولئك جاؤا الى المعادن فاقتلعوها فقلت : فايما اشعر من جاء الى المعادن فاقتلعها بتبرها وترابها أم من خلص التبر من التراب ؟ هذا الفرزدق قيل له : ايما احب اليك ان تتقدم الجود او يتقدمك ؟ فقال لا اتقدمه ولا يتقدمني ، ولكن أكون اناوهو معاً . وهذا ابو نواس يقول :

فما فاته جود ولا حلّ دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

وإلا فانشدوني مثل قوله :

كمن الشنآن فيه لنا كمون النار في جمر

فتاء ومروءة

كان ابو نواس لا يستنشد من شعره الا أنشد هذه القصيدة .

وخيمة ناطور برأس منيفة تهم يدا من رامها بزليل

اذا عارضتها الشمس فاء ظلالها وإن واجهتها آذنت بدخول
حططنا بها الاثقال فلّ هجيرة عبورية تذكي بغير فتيـــل
تأيت قليلاً ثم فاءت بمذقـة من الظل في رث الاباء ضئيل
كأنا لديها بين عطفي نعامة جفا زورها عن مبرك ومقيل

قال المبرد : لو قال قائل ان أبياته هـذه لا يدانيها نظم في معناها وصفتها لصدق . والناس ينشدونه « في رث الاناء » بالنون وهو غلط ، لأن الاناء هاهنا لا معنى له ، والصحيح الاباء بالموحدة .

يصف هذه الخيمة بأنها على جبل شاهق ، وليست بمستوى الأرض ، فهي متجافية كنعامة باركة في مثل هذا المكان ، وقد تجافت عنه لوعورته وقلة تمكنها فيه ، والخيمة لم يحكم بناؤها ، فظلها متقلص لم يستر ستراً كافياً . وقوله « فل هجيرة » أي منهزمين من شدة الحر ، وقوله « تأيت قليلاً » يريد الشمس أي توقفت في الجو عند زوالها . وهو من قول ذي الرمة : « والشمس حيرى لها في الجو تدويم » . وقوله « فاءت بمذقة » أي الشمس دخلت عليهم من تلك الخيمة الخلقة التي لا تثبت على الاباء الضعيف من القصب ، فلم تقو الشمس عليهم ، ولم تمنعهم الخيمة بستر قوي فيصير ظلاً ، ولكنه شمس وظل ، ثم قال :

حلبت لأصحابي بها درة الصبا بصهباء من ماء الكروم شمول
اذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل
فلما توفى الليل جنحاً من الدجى تصابيت واستجملت غير جميل

وعاطيت من اهوى الحديث كما بدا ... وذللت صعباً كان غير ذليل
فغنى وقد وسدت يسراي خده ... ألا ربما طالبت غير منيل
كفى حزناً ان الجواد مقتر ... عليه ، ولا معروف عند بخيل
سأبغي الغنى إما جليس خليفة ... يقوم سواء أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جنانه ... اذا نوه الزحفان باسم قتيل
لتخميس مال الله من كل فاجر ... وذي بطنة للطيبات أكول

قال الاصمعي : الصهباء التي عصرت من الكرم الابيض ، ودرة الصبا بكسر الصاد من التصابي ، وهو لا يقنع إلا أن بسط عذر من لا قدرة له على جود ، وفرق بينه وبين البخيل باجود لفظ ، وأعذب نطق . ولما قال أبو نواس هذه القصيدة قال أبو عمرو الشيباني : لا يبالي أبو نواس أن لا يقول بعد هذا شيئاً ، وكان أبو نواس شديد الشغف بهذه القصيدة . فكان اذا استنشد يكون أول ما ينشد هذه القصيدة ، واذا استزيد انشد :

كان الشباب مطية الجهل ... ومحسن الضحكات والهزل
كان الجميل اذا ارتديت به ... ومشيت اخطر صيت النعل
كان البليغ اذا نطقت به ... واصاخت الآذان للعلي
كان المشفع في مآربه ... عند الفتاة ومدرك النبل
والباعثي والناس قد رقدوا ... حتى ابيت خليفة البعل
والآمري حتى اذا عزمت ... نفسي اعان يدي بالفعل

والآن صرت اذا مقاربة ... وحططت عن ظهر الصبا رحلي
والراح أهواها وإن رزأت ... بلغ المعاش ، وقلت فضلي
صفراء مجـــدها مرازبها ... جلت عن النظراء والمثل
واذا علاها الماء ألبسها ... حبباً كمثل جلاجل الحجل
حتى اذا سكنت جوامحها ... كتبت بمثل أكارع النمل
خطين من شتى ومجتمع ... عقل من الاعجام والشكل
فاعذر اخاك فانه رجل ... مرنت مسامعه على العذل

مراسلة شعرية

كتب أبو نواس الى غلام يهواه في مجلس حديث في رقعة فناوله الرقعة :

يا من شكا ردفه مخصره ... ومن يروق العيون منظره
زرنا لتحيا بك النفوس فما ... يطيب عيش وليس تحضره

فكتب الغلام في الرقعة :

زدني من المدح والهجاء وما ... اصبحت تطويه لي وتنشره
لو وضع الدرهم الصحيح على ... باب حديد لذاب اكثره

ومن شعر أبي نواس قوله :

اسقنا ان يومنا يوم « رام » ... ولرام فضـــل على الأيام
من شراب ألذ من نظر المعشـ ... ـوق في وجه عاشق بابتسام
لا غليظ تنبو الطبيعة عنه ... نبوة السمع عن شنيع الكلام

في رياض ربعية بكر النو ... عليها بمستهل الغمام
فتوشت بكل نور أنيق ... من فرادى نباته وتوام
ولهم من جناه اذريون ... وضعوه مواضع الأقلام[1]
فترى الشرب كالأهلة فيها ... يتحسون خسروي المدام

قوله : اسقنا ان يومنا يوم رام يعني به الحادي والعشرين من كل شهر من شهور الفرس ، يلذون فيه ويفرحون ، يقال له رام او كهرام .

وكان أبو نواس يفضل العجم ويمدحهم ، ويشتهي أن يذكر مناقبهم وآثارهم ، وأن يتزيا بزيهم ، ويظهر للناس انه منهم .

هجر وأقذاء

قال ابو نواس يهجو محمد بن رباح المعروف بـ « زنبور » :

تعزى قلبنا عن ذكر راح ... فكيف عزاء قلب مستباح
يظل الليل يرقب كل نجم ... يواليه ، يغور الى الصباح
أراد محمد بن رباح شتمي ... فعاد وبال ذاك على رباح
أتذكر حر أمك فوق ايري ... تدور كما يدور أبو رياح[2]
تغنت لي ، وقد ركبت عليه ... وصارت فوق مندمج وفاح !

---

(١) اذر ون : نور اصفر واللفظة فارسية معربة معناها آذركون أي لون النار ، كانت الفرس تجعله خلف آذانها .

(٢) أبو رياح تمثال فارس بيده رمح كان على قبة الذهب ببغداد جعله المنصور عليها ، يتجه حيث الريح .

ألسنا خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
فقلت ، دعي التمثل ليس هذا وعيشك وقت هجو وامتداح
ولكن الأوان أوان نيك وادخال الفياشل في الفقاح
فقالت : هاك رجلي فارفعنها وادخل رمح بطنك جوف راحي
فلما أن فرغت بكت وقالت : تداعى آل ليلي بالرواح

وقال يهجوه ايضاً :

اذا ما بت جار أبي حسين فبت ويداك في طرف السلاح
فان له نساء سارقات اذا أمسين أطراف الرماح
سرقن وقد نزلت عليه ابري فلم اظفر به حتى الصباح
فجاء وقد تخدش جانباه يئن إلي من ألم الجراح
نساء أبي حسين صارخات قبيل الصبح : حي النكاحي
بافخاذ يميل الطعن عنها الى الاحراح تطعن بالفقاح

وكان ذلك جواباً على ما كان هجاه به زنبور في قوله :

كتبت على حرام أبي نواس أبا جاد وهواز وحطي
وصيرت الختام عليه ابري فان هم غيروه عرفت خطي

من كل واحد

قال أبو نواس يهجو أبا الهندي :

الحمد لله العلي ومن له كل المحامد

أيسبني رجل عليـــ ... ه من الخزاية الف شاهد
هـذا أبو الهنـــد ... يّ فيه تشابه في الف واحد
ماذا اقول لمن له ... في كل عضـو منه والد

دعوة

كتب أبو نواس الى علي بن أبي سهل بن نوبخت يقول :

كنت المعزى بفقدي ... وعشت ما شئت بعدي
أهدى إلي أخ لي ... سليـــل شمس وورد
ألذ من لفظ صب ... يشكو مرارة وجد
فاخلع عليّ سروراً ... بكونك اليوي عندي

ثم كتب اليه بعد ذلك :

اني لأبغض كل مصطبر ... عن ألفه في الوصل والهجر
الصبر يحسن في مواضعه ... ما للفتى المشتاق من صبر

ليلة داعرة

قال أبو نواس : أهدى إليّ الأمين اربع مئة دينار فقلت : أيأذن لي امير المؤمنين في الصير الى قطربل ؟ فقال لي : ويلك ! أتريد وجهاً احسن مني ، أو اقبل قدراً ، أو اعظم خطراً ، أو مكاناً اطيب من مكاني ، او آلة احسن من آلتي ، أو مجموعاً احسن مما نحن فيـه ؟!

قلت : لا يا امير المؤمنين ، ولكن اريد ان اتنسم ذلك الهواء ، وانظر ذلك الثرى ، وليس لي بها مقام اكثر من ليلة واحدة ثم آتيك في صبيحتها ، فأذن لي فأتيت الأرجواني الخمار ، وكان يضحك بعين ويبكي بعين . فقلت له : هذه عشرة دنانير لابن اسطفوس النصراني فاهب اليه وقل له : هذا ابو نواس وندیم امير المؤمنين إنما يبيت ليلة واحدة . وكان الأرجواني اقود من ظلمة . فما بان إلا وقد حضر به يتهادى ، تقصر الاذهان عن وصفه ، فما تمالكت ان اختلست من خده قبلة . فجلسنا نشرب ، ووجدته محتملاً للشرب فتناومت لينام . فنام بعد جهد . فلما نام اخذت بضعبيه فالقيته على تلك الأسرة ، واحس الغلام ببعض ما انكره في ثالث دفعة ، فوثب ضجراً غضبانا . فقلت في ذلك :

لا اندب الربع قفراً غير مأنوس ... ولا احن الى الحادي ولا العيس
أحق منزلـــة بالهجر منزلة ... وصل الحبيب عليها غير مأنوس
لكن بكائي على أبنـاء دهقنة ... غر بهاليل ، من ابنـاء آلوس
يا ليلة غبرت ما كان أقصرها ... والراح تعمل في اخوانك الشوس
وشادن نطقت بالسحر مقلته ... مزنر إلف تسبيح وتقديس
نازعته الكأس في رفق أحدثه ... في زي قاض ، ونسك الشيخ ابليس
لما سكرت وكل الشرب قد سكروا ... وخفت صرعته إياي بالكوس
غططت مستنعساً عمداً لأنعسه ... فاستشعرت مقلتاه النوم من كيسي

فامتد فوق سرير كان اوفق لي على تشعثه من عرش بلقيس
فقمت امشق في قرطاسه بيد خطاطة ما تعاني في القراطيس
أحس في ثالث قبل الفراغ وقد نعى الصباح لنا قرع النواقيس

فقال : من أنت ؟ قلت : القس زار ولا

بد لديرك من تشميس قسيس
فقام يوسعني شتماً واوسعه حطاً بنى عرشه من غير تأسيس
وقال : بئس لعمري أنت من رجل فقلت : مهلاً فاني لست بالبيس

* * *

قال غسان بن محمد الغدافري ابن عم الحسين الخليع : خرجت الى بغداد فنزلت على الحسين وقلت له : احب ان تجمع بيني وبين ابى نواس قال : انهض ، وسار بي الى شارع العلاء الوصيف ، فطرقنا بابه ، وقلنا لغلامه : قل له الحسين الخليع ، فخرج الينا بنفسه ، وأدخلنا مجلسه ، فلما جلسنا حبسنا حتى هطلت السماء ، فحلف علينا ان لا نبرح ، وأتانا بما حضر من طعامه فأكلنا وصرنا الى مستمطر له بحـــذاء منزل العلاء الوصيف، وفيه منظر الى الشارع ، فجلسنا نشرب ، وابتلت الأرض بالمطر والطين ، فخرج غلام من دار العلاء ما رأيت بعده أحـداً احسن منه ، فلما رآه الحسين تحير وقال لأبي نواس : امه فاعلة ان كنت نزلت هاهنا إلا لموضع هذا الغلاء . فقال ابو نواس : وأمه فاعلة ان كنت كذبت ، الا انه قطع قلبي ، وأسهرني ليلي ، وليس يمكنني . فصفق له الحسين الخليع

فرفع رأسه اليه ، فأوما اليه بيده ان تعال ، فنزع نعليه ثم خاض الماء والوحل حتى دخل الدار . فقام اليه ابو نواس فوجده يغسل رجليه ، فألبسه نعليه وصعد به ، فلما جلس عبث به ابو نواس ساعة ، ثم قال لنا : قالت لكم جدتي لا تحبسوا عباساً ، فقال له ابو نواس : نعم يا أم الفضل ايس نحبسك ثم سقاه ثلاث كاسات ، فقال له الغلام : الناس يقولون انك زنديق ، فبالله عليك ماالزندقة ؟ ! فقال له ابو نواس: أولها انت ، فلولاك وأمثالك ما تزندقنا ، والساعة أفسر لك الزندقة ما هي ، ثم اخذه بيده ، وخلا به في غرفة وفسق به ، وقال له : هذا اول الزندقة ، ثم جاء الى الحسين فقال له : اذهب اليه ، فقام اليه الحسين وفسق به ، ثم خرج إلي فقال : اذهب اليه ، فقمت اليه وفسقت به ، فلما فرغنا جاء وجلس ، فقال له ابو نواس : يا أم الفضل أعرفت الزندقة ؟ هذه هي ، ثم شرب كأساً ونهض ، فانشأ ابو نواس يقول :

بنت العلاء أتتنا وهي حافية ... في يوم وحل كثير الماء والطين
قالت لنا قولة من بعد جلستها ... قالت لكم جدتي بالله نيكوني
فمر والله يا قومي بفقحتها ... ما مر بالطبل في يوم الثمانين

تجميش والى آخره

حدث أبو العيناء عن الحسين بن احمد قال : وجهت عنان جارية الناطفي الى ابي نواس رسالة مع صبية لها تدعوه ، وقد دعت الحسين الخليع وكتبت في كف جاريتها :

زرنا لتأكل معنا ولا تغيبن عنـــا
فقد عزمنا على الث رب صحبة واجتمعنا

فجاءته الجارية فقرأ ما في يدها ، وأدخلهـــا الى بيته فراودها على نفسها فأبت عليه ، فلم يزل بها حتى طاوعته ، ففرغ منها وكتب أسفل ذلك .

نكنا رسول عنان والرأي فيما فعلنا
فكان خبزاً بملح قبل الشواء أكلنا

وقال لها : تقدميني حتى ألحق بك ، فجاءت الجارية بالجواب الى عنان ، فكتبت عنان :

للنيك معنى ولكن ما للتهتك معنى

وقالت لها : اخرجي فقفي على الباب حتى يجيء فيقرأ ما في يدك ، واقبل ابو نواس فأرته ما كتبت سيدتها في يدها ، ودخل فبدرته عنان قائلة :

أي افتراع تراه

فقال : بذاك كنا افترعنا

فقالت : فما ترى في اصطراع

فقال : لو شئت قمنا اصطرعنا

جذبتهـــا فتثنت
كالغض لما تثنى
قالت : فكم تتجنى

فقالت الجارية : طولت نكنا ودعنا

القى ابو نواس الى عنان بيتاً هو :

كل يوم باقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

فأجابته على المكان :

فهي كالوشي في ثياب حسان جلبتها التجار من صنعاء

يا شقيق النفس

قال المرزباني : قال ابراهيم بن الخصيب ، لما كان ابو نواس عند أبي بمصر ، شرب ليلة حتى سكر ، وقام في الليل ليبول فبال ثم قال : لأقولن الساعة شعراً لم يقل مثله أحد قط ، ثم انشأ يقول وهو سكران :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم
فاسقني البكر التي اعتجرت بخمار الشيب في الرحم (١)
ثمت انصات الشباب لها بعدما جازت مدى الهرم
فهي لليوم الذي بزلت وهي ترب الدهر في القدم
عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت في القوم مائلة ثم قصت قصة الأمم

---

(١) مما حفظناه ان الرواة اختلفوا في معنى هذا البيت بحضرة الرشيد فقيل انه يريد بخمار الشيب في الرحم ان الخمر في حوانيها ذات زبد ابيض على وجهها فقال الاصمعي : ان أبا نواس الطف خاطراً من هذا واسد غرضاً فاسألوه . فاحضر وسئل فقال : ان الكرم اول ما يجري الماء في عوده يخرج شبيهاً بالقطنة وهي اصل العنقود . فقال الاصمعي : ألم أقل لكم ان الرجل الطف خاطراً وأسد غرضاً ؟ .

في ندامى سادة زهر اخذوا اللذات عن أمم
فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم
فاهتدى ساري الظلام بها كاهتداء السفر بالعلم

قال ابراهيم : فجعل ينشد وأنا أكتبها بالجص على الحائط الى ان فرغ منها . فلما كان الغد وأفاق من سكره قال لأبي : لقد قلت البارحة شعراً حسناً في الخمر ما قلت مثله قط وقد نسيته . فقال أبي : هل سمع احد منه شيئاً ؟ فقلت : أنا سمعته ، وانشدته اياه ، فسر غاية السرور ، واحسن جائزتي وجائزته .

قوله « ثمت انصات الشباب لها » كأنها صوتت به فانصات لها أي اجابها . قال عباس سمعني الزبير بن بكار أنشد لأبي نواس :

عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم

فقال : لا تقل عُتقت ، فتدل بهذا القول على معتق ولكن قل عَتُقت

لما قدم المأمون بغداد كان عنده اليزيدي والثقفي مولى الخيزران واسماعيل بن نوبخت فتذاكروا الشعراء ، فقالوا النابغة والأعشى ، وتذاكروا فيهما . فقال المأمون : أشعرهم ابو نواس فقالوا : صدقت يا امير المؤمنين . فقال : الصدق على المناظرة احسن من الصدق على الهيئة قالوا : فبم قدمته يا امير المؤمنين ؟ قال : بقوله الذي لم يسبقه اليه احد :

فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

قال المبرد : حدث سلمان سخطة راوية ابي نواس : ان ابا نواس اول ما كان قوله :

فتمشت في مفاصلهم كتمشي النار في الفحم

ثم أنشدته الشعر لأعرضه عليه ، فسبقني لساني فقلت « كتمشي البرء في السقم » فقال : أعد علي كيف قلت ؟ فأعدته عليه فاعجبه جداً ، ثم قال : اجعله بها ، ولقد أصبت لعمري هذا اللفظ لألطف معنى وأحلى كلاماً ، فاثبته وترك ما كان هو قاله .

صفة الطلول

ومن شعر أبي نواس قوله :

صفة الطلول بلاغة الفدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

لا تخدعن عن التي جعلت سقم الصحيح، وصحة السقم

وشقيقة النفس التي حجبت عن ناظريك ، وقيم الجسم

اني لأكرمها مما يذل ولا فتلت مرائرها على عجم

قوله : لاكرمها مما يذل أي لم تدنسها الأرجل بالعصر ، انما سالت عفواً وما كان استخدعها على عيب ، والعجم العض ، أي عض العود ليعرف صلابته ، أي هي أشهر أمراً في الجودة من ان تختبر ، لأن الكرم اذا أريد غرسه ، عضه غارسه ليختبره أجيد ام رديء ، وكرم مثل هذا انما ثبتت جودته ، وعرفت صحته قبل الاختبار ، فأغنى عن العجم . وهذا كقول المخبل العبدي : « ان الجواد عينه فراره » أي الفرس ينبيك عن نفسه دون مفره اذا كان أصيلا .

مجلس للبرامكة

قال الشافعي : قال لي الأصمعي ، يا ابا عمرو ما رأيت انجب من البرامكة رجالاً ، ولا اشرف منهم احوالاً ، ما حضرت ليحيى بن خالد ولا لجعفر ولا الفضل مجلساً إلا انصرفت عنه وانا مثقل نفسي ندماً لفرقتهم.

قال الأصمعي : طرب الفضل بن يحيى الى مذاكراتي يوماً فارسل إلي في يوم قر وبرد ، فأتيته فدخلت عليه في بهو له قد فرش بالسمور [1] ثم احضر بين يديه كانوناً من فضة ، في وسطه اثافي [2] من ذهب عليها قدر ، اوقد تحته العود والمندل ، وبين يديه صينية من فضة عليها أسد رابض من فضة عيناه ياقوتتان حمراوان ، والصينية والأسد قطعة واحدة ، عليها ابريق زجاج فرعوني لا أحسبه يفي بثمن ، وكأس يسع رطلاً ، وطباخ واقف على القدر ، والخدم خارج البهو جلوس ، وعلي يومئذ ثياب محشوة قطناً .

فلما سلمت اومأ إلي بالجلوس فجلست فقال : يا أصمعي هذا يوم خير وبر جئتنا فيه ، فعلمت انه قد تحرش بالجود وناداه فأجابه مشتاقاً اليه ، الا انه احب ان يجعل لذلك سبباً . فقلت : جعلني الله فداك ، هو مستودع في الخزائن فمر الخدم باحضاره فقال : هيهات ما اجدت الرمية في استخراج البغية ، ولا الطفت المسألة ، هلا قلت : كرهت ان يشاهد في هذا اليوم

---

(١) السمور حيوان ثمين الجلد .

(٢) الاثافي جمع أثفية وهي الاحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر .

جليس لك بغير خلعك ؟ فان ذلك افتق للسماح مما قلت ، وابعث للنجاح لما املت ، فقلت : جعلني الله فداك ، لا تجمع علي العيبين ، فقال : ياغلام! فاسرع اليه الخدم فقال : يخلع عليه جبة خز بسمور وكساء خز بحواشيه ، فدعيت فنزعت ما كان عليّ ، وجعلت عليّ الجبة بقميصها وخفها وسراويلها ، وكان الجورب مبطناً بسمور . فلما جلست قال : اكثرت الغذاء ، واردت نفسي على شرب رطل فما اجابت ، ثم قال للذي يطبخ : أأدركت قدرنا ؟ ! قال : نعم ، وحمل المائدة عني فما غاب حتى جاء غلام يحمل خواناً عليه ثلاث رقاقات على كل رقاقة رغيف ، ثم جاء الطباخ ومعه جام فضة خسروانية في وسطها جمجمة وقد نثر عليها السكر ، فما اقدر على صفة ما اكلت ، واحسبه مخ خراف خصيان تذبح في مطبخه كل يوم . فلما تملأت ورفع الخوان جاءني الطست ، فاعطيت اربعة اصناف من الاشنان ما منها صنف إلا وكنت أهم أن اتعلق به ، فلما مسحت يدي جاءني خادم بيده ملعقة مملوءة غالية فتطيبت بها .

ثم اخذ الفضل الكأس بيده ، فصب فيها من النبيذ قدر ثلثيها ، ثم ملأها بالماء وشرب ، ثم صب مثل ذلك ، فبدر الى الابريق وصيف فقال : تنح ، هذا يوم منادمة الأدب ، لا أحب أن يكون غيري خادمه ، ثم دفع الكأس إليّ وقال : ابعث الى قلبك رسولاً يُرحل عنه ما سكنه من الهم ، فشربت كأساً ثم قلت : جعلت فداك ! ما قال الشويعر ؟ قال : ومن هو ؟ قلت : ابو نواس ، قال : بل قل الشاعر

الذي قلما طلب فكره القوافي . وما قال ؟ قلت :

اذا ما اتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل

قال : لله دره ! ما أبينه لدر الوصف في هذا او في غيره ؟ ثم قلت: واسمع ما قال :

ودبت دبيباً في العظام كأنه دبيب نمال في نقا يتهيل

ودرر معانيه في هذا الباب كثيرة ، واكره ان اشتغل به في هذا اليوم عما انا اليه اميل ، ثم قال : والله لولا ان مجالسته تتحدث بها العامة لكان ثالثنا في هذا اليوم ، ولقد كنت برآ به ، فحالت بيني وبينه ما ناداني به لما وجد من رسيس الهوى في حب جنان حين قال :

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد هواك لعل الفضل يجمع بيننا[1]

ثم قال يا غلام ! علي بمنصور الخازن . فلما وقف بين يديه قال له : ابعث الى الحسن بن هاني بمنديل فيه خمسة آلاف درهم : فبعث اليه .

وكان ابو نواس قد هجا البرامكة قبل مصابهم وبعد مصابهم، وكان مما رثاهم به قوله :

---

(١) هذا البيت من قصيدة في مدح الفضل البرمكي اولها :

مارحتم من الترحال ذكراً لفتنا الموهد شخصتم صبح الوت بعضنا

وقد حدث بعض بني نوبخت ان الفضل لما انشده ابو نواس :

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد هواك لعل الفضل يجمع بيننا

قال له : ما اردت على ان جعلتني نواداً ، فقال له ابو نواس : ايها الامير انه جمع الفضل لا جمع توصل ، قال : صدقت وأمر له بخمس مئة دينار ، فلم يسر الكثرة عطاياهم لغته .

الان استرحنا واستراحت ركابنا　　واقصر من يجدي ومن كان لايجدي

فقل للمطايا : قد أمنت من السرى　　وقطع الفيافي فدفداً بعد فدفد

وقل للعطايا : بعد فضل تعطلي　　وقل للرزايا كل يوم تجددي

وقل للمنايا : قد ظفرت بجعفر　　فلن تظفري من بعده بمسود

فيا لك سيفاً برمكياً مهنداً　　اصيب بسيف هاشمي مهند

رعية وراع

قال عبدون الحراني : دخلت على مالك بن طوق وعنده العتابي ، وعليه جبة صوف ، وكساء صوف ، وفي يده دفتر ، فرفع رأسه إليّ فقال : قاتله الله ما اشعره ! قلت مَن يا ابا عمرو ؟ قال : الذي يقول :

اذا نحن اثنينا عليك بصالح　　فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

قلت : من يا ابا عمرو ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : الذي يقول :

تغطيت من دهري بظل جناحه　　فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام عني ما درت　　وأين مكاني ، ما عرفن مكاني

أخذت بحبل من حبال محمد　　أمنت به من طارق الحدثان

فقلت : من هو ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : الذي يقول :

ان السحاب لتستحي اذا نظرت　　الى نداك فقاسته بما فيها

حتى تهم باقلاع فيمنعها　　خوف العقوبة من عصيان منشيها

فقلت : من هو ؟ قال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : ما عرفت

شيئاً ... هو أبو نواس ، ثم لقيت بعد ذلك أبا نواس فقلت له : البشرى قال : وما ذاك ؟ قلت : ولاك أمير المؤمنين على القردة والخنازير ، قال : فاسمع لي واطع فأنك من رعيتي . فأفحمه واخجله .

معابثة ورأى

قال محمد بن الحكم بن عمار الواسطي : حدثني أبي قال : مررت وأنا غلام بداود بن رزين الشاعر فقال لي : اصعد يا حكم ، فصعدت اليه ، واذا معه رجل ، وكانت في يدي وردة ، فناولته الوردة ، فقال : ناولها هذا الرجل ، فناولته اياها ، فقبض على كفي وهي فيها فشمها وقال :

وردة حيا بها وردة ... تشبهه ريحاً وحياني
عجبت منها حين ابصرتها ... ريحانة في كف ريحان

فقال له داود : احسنت يا أبا نواس ، فلما سمعت كنيته ، نفضت يدي عن يده وفررت منه ، وكان الصبيان عندنا يفزعون به ، فيقال لهم : قد جاء أبو نواس اللوطي ، قال وقلت لأبي : لا اخرج الى الكتاب ما دام أبو نواس بواسط .

شهوة ومنية

قال الجماز : قعدنا يوماً وأبو نواس معنا فقال : اشتهي شيئاً لا اجده في دنيا ولا آخرة ، فقلت : ويحك ! في الجنة ما تشتهي الأنفس

وتلذ الأعين ، قال : هذه الشهوة ما اجدها لا في الدنيا ولا في الجنة ، قلت له : ويلك ما هي ؟ قال اشتهي غلاماً حلالاً ، فقلت له : اعزب قبحك الله لا تفلح ابداً .

ثم تمنى كل واحد منا شيئاً فقال ابو نواس : لكني اتمنى أن ارزق كل ما اشتهيه في المعاصي ! حتى اذا لم يبق من عمري إلا سنتين مسخني الله كلباً بعرفات اعض ارداف الحاج .

زهد وعظة

قال يعقوب بن زيد : رأيت أبا نواس بالبصرة ، فقلت له : انشدني في الشيب شيئاً يزجرني فأنشدني :

انقضت بشرتي فعفت الملاهي إذ رمى الشيب مفرقي بالدواهي
ونهتني النهى فملت الى العقـــل ، واشفقت من مقالة ناهي
أيها الغافل المقيم على السهـــو ، ولا عذر في المعاد لساهي
لا بأعمالنا نطيق خلاصـــاً يوم تبدو السماء فوق الجبـاه
غير اني على الاساءة والتفـــريط راج لحسن عفو الله

سجنه واطلاقه

صار أبو نواس الى العباس بن الفضل بن الربيع في حاجة فلم يقضها له ، فخرج من عنده وهو يقول :

لعمرك ما العباس من ولد الفضل فيرجى لفضل أو يعين على فضل

فتى كلما ناديتـــه لملمة دعوت مثالاً لا يمر ولا يحلي

فبلغه ذلك فشكاه لأبيه ، فأمر بكر بن المعتمر بأخذه وضربه ، وحبسه وقيده ، فاسلمه الى سجان فظ غليظ كان على المطبق اسمه سعيد ، فضيق عليه وآذاه ، فكتب رقعة وانفذها الى بكر فيها :

جعلت لك الفدا زدني قيودا ومرّ عليّ سوطاً أو عمودا

ووكل بي وبالأبواب دوني من الرقباء شيطاناً مريدا

واعنف مسامعي من صوت رجس ثقيل صوته ، يدعى سعيدا

فضحك بكر من الأبيات ، واوقف الفضل عليها ، وأمر باطلاقه ، وذلك حيث يقول :

يا فضل قد اودعتني سعة ما بعدها غلط ولا سهو

فاقبل أبا العباس عذري من لفظ الصبا ومذاقه حلو

إن ضاق عفوك وهو ذو سعة عني ، فليس بواسعي عفو

أنت الذي الف السماح فما غير السماح بقلبـــه لهو

ومن شعره في أدب المعاشرة قوله :

إني وإن كنت ماجناً خرقاً لا يخطر الفسك لي على بال

لذو حياء ، وذو محـــافظة مبتاع حمد الرجال بالغالي

ان دنس المال عرض ذي أدب فان عرضي يصان بالمان

يكذب بالدين

قال علي بن يوسف : قال لنا أبو نواس في ليلة من ليالي رمضان ،

وكان يحب ابن صاحب المسجد ، وهو غلام جميل : هبوا الليلة اليه . فمضينا فقدم الشيخ ابنه بعد أن صلى المكتوبة ، يصلي بهم الروحة الأولى ، وهو يريد الختم فقرأ : أرأيت الذي يكذب بالدين ... قال : فأخذ بيدي ونحاني عن الصف ثم انشدني :

وقرا معلناً ليصدع قلبي ... والهوى يصدع الفؤاد السقيما
أرأيت الذي يكذب بالدي ... ن ، فذاك الذي يدع اليتيما

وما يشبه هذا قوله في غلام كان يصلي بجماعة :

ولم أنس ما ابصرته من جماله ... وقد زرت في بعض الليالي مصلاه
ويقرأ في المحراب والناس خلفه : ... ولا تقتل النفس التي حرم الله
فقلت : تأمل ما تقول فانها ... فعالك يا من تقتل الناس عيناه

ومما انشده دعبل من هذا النوع :

ونخزيهم وننصركم عليهم ... ونشف صدور قوم مؤمنينا

أنشد أبو الشمقمق أبا نواس يوماً :

كنت فيما مضى فتى امدح النا ... س واهجو ، وذاك ذل ذليل
وأنا اليوم ليس قولي إلا : ... حسبنا الله وهو نعم الوكيل

فقال له أبو نواس : يا ابن الفاعلة ماذا ؟ والله لا يطعمك أحد الخبز أو تموت جوعاً .

اجتمع جماعة في مجلس منهم الفضل والرقاشي والخليع وأبو نواس ، فقال لهم أبو نواس : أيكم يأتي ببيت شعر فيه آية من القرآن فلم يجبه احد فقال :

وفتية في مجلس ريحانهم تحية ، قد اعدموا الثقيلا
دانيـــة عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليـلا

كان ابو نواس وعمر الرقاشي يمشون في بعض الطرقات ، فمر الرقاشي بتمرة ملقاة فتخطاها ، فقال له ابو نواس : ويلك يا عمر كلها فلئن تلوك غرمول حمار خير من أن تكون جائعاً .

النواسي ... ضمير مستتر

قال يوسف بن الداية : غاب ابو نواس عنا وعن اخوانه غيبة طويلة ، فلم نعرف له خبراً ، وسألنا عن أمره ، فلم نعلم له أثراً ، حتى مضت له سنة ، فظنوا انه قتل ، وبلغ ذلك الرشيد فقال : والله إن صح انه قتل لأقتلن قاتله ولو كان محمداً ولدي . انظروا كل من كان هجاه من الناس فاكتبوا اسمه وارفعوه إليّ .

فارتجت بغداد لذلك ، فلما كان على رأس الحول ، اذا نحن به قد وافى ، فقلنا له : يا ابا علي ! قد غبت هذه الغيبة عنا فغممتنا وظننا بك الظنون ، قال : كنت في بيتي ، فقلنا له : ألم تسمع بغمنا عليك ، وقول الرشيد فيك ؟ فلم يبق احد من اخوانه إلا عذله ، وقالوا له : ان في هذا تعريض لنفسك الآفات فانشأ يقول :

إني لفي شغل عن العاذلين بالروح والريحان والياسمين
اشربها صرفاً . اذا ما قست زوجتها بالمـاء حتى تلين
لدى غزال حسن وجهه احور قلبي بهـواه رهين

اقول إذ صرت على ظهره كقول قوم رحلوا ظاعنين
سبحان من سخر هـذا لنا منه ، وما كنا له مقرنين
استغفر الله لما قـد بدا منا ، وإن كنا له عاشقين
فهو مغني ، وهو ساق لنا وهو خدين بأبي من خدين

فلما انشدنا قال : بحياتي من يساعدني منكم حتى أريه أين كنت ! ووجه الذي كنت معه ؟ فيعذرني أو يحسدني . فمضى بنا فلما صار الى موضعه أرانا غلاماً لم نر احسن منه ثم قال له : بحياتي خذ طنبورك ، فاذا هو احسن الناس غناء بها . ثم قال : أتلومونني ان انقطع عن اهل الدنيا ، واعتكف على هذا الوجه ، وقد جمع فيه كل معنى .

دعوة بشرط

قال داود بن سهل : دعوت ابانواس يوماً ، فقال لي : اخي على شرط قلت : ما شرطك ؟ قال : شرطي سعد ، وكان يعشق غلاماً من موالي داود يقال له سعد وكنيته سعد الفلك . فقلت له : ذلك لك ، فجاء به معه وصار الى صديقين لي ، فقطعنا يومنا بأطيب عيش ، فلما اجتمعنا قال ابونواس للغلام : لابد ان تجعل مبيتك عندي خوفا عليك من غيري ، فاجابه الى ذلك ، فلما اضطجعا ادخل يده بين فخذي الغلام ثم قال له : لا آمن عليك الا ان افعل ذلك ، فلما أغفى اخرج يده ووضع ايره مكانها ، فاستيقظ الغلام مرتاعاً منكراً لذلك . فقال له : انصفني في القياس ، ما ايري إلا بمنزلة كفي فانهما من أديم واحد ، واعضاء رجل واحد ، ثم انشد :

قل للغزال غزال آل مجالد　　يا كافري نعمي عليه وجاحدي
أترى مصالحتي تحل ولا ترى　　حلاً تغيب ما وراء الساعد
ان كنت تنظر في القياس فانما　　كفي وايري من اديم واحد

وفيه يقول ايضاً :

رأيت في كفه خالاً فقلت له :　　لم لا تجود ؟ وهذا الخال للجود
فقال : هيهات يأبى ذاك حمرته　　وانما قيل ذاك الفضل في السود

يريد : ان الخال في يدك علامة الجود ، والخال السحاب ، وقوله « يأبى ذاك حمرته » لأن السحاب الأحمر لا يمطر ، وانما الذي يمطر الأسود .

القلوب

قال الجهاز : سمع ابو نواس محدثاً يروي : « ان القلوب لا جناد مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف » فقال ابو نواس :

يا قلب جد منك ذا الكلف　　ومن كلفت به جاف كما تصف
وكان في الخلق ان يهواك مجتهداً　　بذاك خبر عنا الغابر السلف
قل للمليح اما تروي الحديث بما　　خالفت فيه وقد جاءت به الصحف
ان القلوب لاجناد مجندة　　لله في الأرض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف ،　　وما تناكر منها فهو مختلف .

مقامرة

ولأبي نواس في ابان ، وقد لاعبه شطرنجاً على رهان فقمره :

لاعبت ابان بشطرنج[1] فكادني بالدل والغنج
حتى اذا ما اشتبكت خيلنا وحربنا ساطعة الرهج
قمرته مقتدراً قمره طربت منها طرب الزنج
فقال : هل تقبل لي فدية يا بأبي من ان تطأ فرجي
فقلت : لا قال : فما حيلتي ان كان شيء منك لا ينجي
ما كان إلا عبثاً ساعة حتى ابتدا الحلاج بالحلج
ثم تعاليت على ردفه كأنني طير على برج
قال : فان الجري من عادتي يافارسي ، فاثبت على سرجي
فسرت في الجري ولي صعدة ثابتة والرمح في الزج
ما خصلة اعرفها للفتى اشهى من الراح مع العفج

سجنه واطلاقه ثانية

جلس الرشيد مجلساً وافاض من حضره في المطبوعين من الشعراء المحدثين ، الى ان اتصل الذكر بالحسن بن هاني ، فغمز عليه سليمان بن ابي جعفر فقال : يا امير المؤمنين ! هو كافر بالله ، لا يرعوي عن منكر ولا يأنف من فاحشة . فقال الرشيد : يا ابا عمرو ! هل تروي عنه من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ، قوله يا امير المؤمنين :

يا ناظراً في الدين ! ما الأمر ؟ لا قدر صح ، ولا جبر

---

(١) شطرنج كلة فارسية مركبة من « شيش » اي ستة و « زنك » بمعنى نوع ، أي لعبة الادوات الست وهي : شاه ، وزير ، فيل ، فرس ، رخ ، وبذق .

ما صح عندي من جميع الذي يذكر ، إلا : الموت والقبر

وقصة البيتين انه كان يشرب عند عبيده الله بن المنذر وبات ليلته ثم قال : « لابد لي من بِنّا [1] ، فقوموا بنا ، فأتيناها ودخلنا حانة خمار كان يعرفه ، ومعه غلام كان قد افسده على ابويه ، وغيبه عنهما زماناً ، وهم في اطيب موضع ، فذكروا ما هم فيه من الطيب والنعيم ، نعيم الجنة وطيبها ، والمعاصي وما يحول عنه منها . فارتجل ابو نواس البيتين ، ثم أنشده ومن قوله ايضاً :

باح لساني بمضمر السر وذاك اني اقول بالدهر

وليس بعد الممات مرتجع وانما الموت بيضة العقر

وبيضة العقر بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود ، كنى بذلك عما يعتقده من انكار البعث . ثم انشد بعد ذلك :

تعلل بالمنى إذ أنت حي وبعد الموت من لبن وخمر

حياة ، ثم موت ، ثم بعث ، حديث خرافة ، يا ام عمرو

فاستشاط الرشيد غيضاً ، وطار شقفاً ، وقال : علي بابن الفاعلة . يا فضل لايفوتنك الزنديق ، فقال رجل من جلساء الرشيد : إن اذن امير المؤمنين انشدته من قول هذا الفاسق ما هو اشنع مما سمع ، قال : هات ، قال : قوله في غلام نصراني :

تمر فاستحييك ان أتكلما ويثنيك زهو الحسن عن ان تسلما

ويهتز في ثوبيك كل عشية قضيب من الريحان شب منعما

---

(١) قرية كانت قرب بغداد معمورة بالحانات والخمارين ، وهي اليوم بالنسبة لخطط بغداد تقع شمال كرادة مريم .

بحسبك ان الجسم قد شفه الضنى وان جفوني فيك قد ذرفت دما
أليس عظيماً عند كل موحد غزال مسيحي يعذب مسلماً ! .
فلولا دخول النار بعد بصيرة عبدت مكان الله عيسى بن مريما

فازداد حنق الرشيد عليه . فقال : يا امير المؤمنين ! واشنع من ذلك : قال : هات ، فانشده قوله في غلام نصراني :

وملحة بالعذل ذات نصيحة ترجو انابة ذي مجون مارق
بكرت تبصرني الرشاد وهمتي غير الرشاد ومذهبي وخلائقي
لما ألحت في العتاب زجرتها فتأخرت عني بقلب خافق
فأجبتها كفي ملامك إنني مختار دين أقسة وجثالق
ومدامة مثل الخلوق عتيقة حجبت زماناً في كنائس دابق
باكرتها من كف أغيد شادن حسن التنغم فوق سؤل العاشق
متخرسن دين النصارى دينه ذو قرطق لم يتصل بيمائق
لبق يديع الحسن لو كلمته لرميت دينك كله من حالق
والله لولا انني متخوف ان ابتلي . . .

وقطع الانشاد ، فقال له الرشيد : بماذا ويلك ؟ . فاستعفاه ، فقال : بماذا ويلك ؟ ! فقال :

. . . بامام جور فاسق

فضاق المجلس باهله ، وانكر الرشيد نفسه ، ثم قال : امض فيها فقال :

لتبعته في دينه ودخلته ببصيرة مني دخول الوامق
إني لأعلم ان ربي لم يكن ليخصهم إلا بدين صادق

فقال الرشيد للفضل بن يزيد بن المنصور : ليؤخذ هذا الكلب ويبيت في المطبق فلا يفوتنك الزنديق ، ونمى الى ابى نواس الخبر فساح في الأرض الى ان وجد فاخذ واودع المطبق ، حتى استغاث بالفضل بن الربيع فأغاثه حتى اطلق فقال فيه :

يا ربة الوجه الجميل ... والخال في الوجه الأسيل
الله فرج لي برأي الفض ... ل من حلق الكبول
واقالني عثت الزما ... ن ، وقد يئست من القيل

توبة ، فتكذيب

عبث اخوان لابى نواس به ، فأشاعوا عنه انه قد تاب عما كان عليه من الفسوق والخمر ، فاقبل الناس يهنئونه ، فجعل يكذب ذلك ويقول : انا والله شر مما كنت فيه ، فلما كثر ذلك عليه دعا بخمار يهودي غلام ، وأجلسه الى جانبه ومعه زق خمر ، فكلما جاءه من يهنؤه قال لليهودي قبل ان يتكلم مهنؤه : صب لي من خمرك ، فيشرب قدحاً ثم يقبل لليهودي ، ويقول للذي يهنؤه : قد رأيت صحة التوبة ! ثم قال في ذلك :

قالوا نزعت ولما يعلموا وطري ... في كل أغيد ساجي الطرف مياس
كيف النزوع وقلبي قد تضمنه ... لحظ العيون ولون الراح في الكاس
اذا نزعت الى رشد تكنفني ... رأيان قد شغلا يسري وافلاسي
فاليسر في القصف للايام مبتذل ... والعسر في وصل من اهوى من الناس
لاخير في العيش إلا في المدام مع الا ... كفاء في الورد والخيري والآسي

ومسمع يتغنى والكؤوس لها ... حث علينا بأخماس وأسداس
يا موري الزند قد أعيت قوادحه ... اقبس اذا شئت من قلبي بمقياس

ومن ظريف ما يروى له :

أمرت ولا تدري وانت قتلتني ... ولو كنت تدري كنت لاشك ترحم
اهابك ان اشكو اليك صبابتي ... فلا انا ابديها ولا انت تعلم
لساني وقلبي يكتمان هواكم ... ولكن دمعي بالهوى يتكلم
وان لم يبح دمعي بمكنون حبكم ... تكلم جسمي بالنحول يترجم

سجنه بكفره

قال الجماز : كنت عند ابي نواس فقال : اسمع ابياتاً حضرتني ، قلت : هات ، فأنشدني :

وملحة بالعذل تحسب انني ... بالعذل اترك صحبة الشطار
بكرت تبصرني الرشاد كأنني ... لا اهتدي لمذاهب الابرار
وتقول: ويحك قد كبرت عن الصبى ... ورمى الزمان اليك بالاقدار
فاجبتها اني عرفت مذاهبي ... وصرفت معرفتي الى الانكار
فدعي الملام فقد أطعت غوايتي ... ونبذت موعظتي وراء جدار
ورأيت ايثاري اللذاذة والهوى ... وتمتعي من طيب هذي الدار
أحرى واجدى من تنظر آجل ... علمي به رجم من الأخبار
ما جاءنا احد يخبر انه ... في جنة مذ فات أو في نار
أما العفاف فليس ذا بأوانه ... حتى يلفع بالمشيب عذاري

لو عن لي قدر يساعد صرفه لرأيت كيف تعفي ووقاري
لكنني أهوى المجون واشتهي قبح الحديث وهتكة الأستار
كيف التعفف عن غزال احور قسم الحتوف بطرفه السحار
متماجن تمت محاسن وجهه فثنت اليه أعنة الأبصار

فقلت له : يا هذا اتق الله في نفسك ، واعلم أن الأعداء يأتمرون بك ، وينتظرون مثل هذه السقطات ، فدع الافراط في المجون . واكتم القصيدة إن لم يكن سمعها أحد غيري . فقال : لا والله لا اكتمها خوفاً ، ولا ادع الافراط في المجون ، فنمى الحديث الى الفضل بن الربيع ثم الى الرشيد ، فما كان اسبوع حتى حبس .

جزاء اللوطي والزاني

قال ابو نواس : كنت وأنا حدث أحب غلاماً بالبصرة واتمناه وادريه ، فلم يطاوعني ، فلقيته يوماً بالمربد فسألته أن يجيبني فقال : إن تحب حضوري فانظر لي مغنية متظرفة تعدها لي . ومرت بي مثل الهيئة التي اقترحها . فكلمتها وأنا أظنها من القيان ، فصاحت واستغاثت ، ووافتني الايدي ، واقبلت الصوفية إليّ بالنعال ، وتنحى الغلام يضحك وهو يقول : هذا جزاء اللوطي والزاني . واحتلت حتى تخلصت منهم وقلت :

وشادن في المجون دلاني انسك ما كنت بين خلاني
قلت له والاكف تأخذني بأي وجه فديت تلقاني

فأنت أوقعتني مخادعة في عمل لا أراه من شاني
فقال لي ضاحكاً يمازحني : هذا جزاء اللوطي والزاني

رأى أبي تمام فيه

قيل لأبي تمام : أيهما أشعر أنت أم أبو نواس ؟ فقال : سبحان الله اني لأستحي أن اذكر معه ، أليس هو الذي يقول :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم واسمت سرح اللهو حيث اساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك اثام

وهو القائل :

يا تاركي جسداً بغير فؤاد اسرفت في هجري وفي ابعادي
ان كان يمنعك الزيارة اعين فادخل إلي بعلة العواد
ان العيون على القلوب اذا جنت رجعت مضرتها على الاجساد
اشكو اليك ، فديت اهلك انهم ضربوا على الارض بالاسداد

دخل ابو تمام علي ابن ابي داود فقال له : احسبك عاتباً يا ابا تمام ! فأجابه انما يعتب علي واحد ، وانت الناس جميعاً ، فكيف يعتب عليك فقال له من اين لك هذا يا ابا تمام؟ . قال من قول الحاذق ابي نواس للفضل بن الربيع :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

واول هذه القصيدة :

قولا لهارون امام الهدى عند اجتماع المجلس الحاشد

انت على ما بك من قدرة فلست مثل الفضل يا لواجد
اوحـــده الله فما مثله بطالب ذاك ولا رائد
ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

قال في قصيدة يمدح بها العباس بن جعفر في صفة الخمر :

كأن بقايا ما عفا من حبابها تهاريق شيب في سواد عذار

فشبه حباب الكاس بالمشيب ، وذلك قول جائز لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده ولا شيء آخر ثم انه قال :

تردت به ثم انفرت عن اديمها تفري ليل عن بياض نهار

فالحباب الذي ذكره في البيت الثاني كالليل الذي جعله في البيت الأول ابيض كالشيب ، والخمر التي كانت في البيت الاول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار . وليس في هـذا التناقض منصرف من جهة من جهات العـــذر ، لأن الابيض والاسود طرفان متضادان .

بيت من قبلة

قال الجماز : كنت يوماً على باب علي بن مسعدة الدارع ، فمر ابو نواس شبيهاً بالمجنون ، واذا خلفه غلام كأنه مهر عربي ، فقلت له : مالك ؟ فقال :

ان الرزية لا رزية مثلها عوز المكان وقد تهيا المضرب

فقلت : منزلي والخدر علي فقال : لا اجمعهما عليك ، وحسبي المنزل ، فعدلت به وبالغلام فأقاما عندي ســـائر يومهما . فلما أراد

الانصراف قال لي : جعل الله لك هذا اليوم ستراً من النار .

قال الجهاز : كنت وأبو نواس ، ونحن حدثان قاعدين بباب عثمان : إذ مر بنا أحمد بن عبد الوهاب الثقفي ، وهو غلام حسن الوجه ، فقال له أبو نواس : قبلني قبلة ، فقال له أحمد : أتمدحني ببيت حتى افعل ؟ فقال :

حبك يا أحمد اضناني يا قمراً في شخص انسان

فقبله ، فقلت : ما شأني أنا ؟ فقال : امدحني أنت ايضاً فقلت :

بذلت للاول ما يشتهي فابذل أبا العباس للثاني

فقبلني ، فقال له أبو نواس : وهذا البيت يكون عليك ديناً :

يا وردة اعجلها قاطف مرت بنا في باب عثمان

لقي أبو نواس امرأة مليحة في طريق فقال لها : ما تصنع الحور بين الدور ؟ فقالت : ما يصنع الشيطان بين الحيطان .

عطاء ومنع

قال سليمان بن أبي سهل لأبي نواس : أحب أن تمدحني وأخي علياً فقال : إن علياً يبرني ويحسن إلي ، وأنت تعقني فكيف اجمع بينكما ، فلم يزل به حتى قال فيهما في مكانه :

قال لي يوماً سليـــــمان وبعض القول اشنع
صف علياً ، ثم صفني أينا أتقى وأروع ؟
قلت : إني إن اقل بيـ كما بالحـــق تجزع

قال : كلا ، قلت : مهلاً قال: فافعل ، قلت : فاسمع

قال : صفه ، قلت : يعطي قال : صفني ، قلت : تمنع

فقال : قبحك الله ، ما كان اغنانا عن هذا .

مساومة بالشعر

خرج أبو نواس يوماً وهو مخمور يتنسم النسيم ، وذلك قبيل عيد الأضحى نحو الكناسة ، فاستقبل اعرابياً ومعه غنم له ، فأنشأ يقول :

أيا صاحب الذود اللواتي يسوقها بكم ذلك الكبش الذي قد تقدما

فأجابه الأعرابي بسرعة :

ابيعكه إن كنت تبغي شراءه ولم تك مزاحاً بعشرين درهما

فقال أبو نواس :

أجدت هداك الله رجع جوابنا فاحسن الينا إن أردت تكرما

فقال الأعرابي :

أحط من العشرين خمساً لأنني أراك ظريفاً ، فاخرجنها مسلما

ثم جاز فقيل له : أتدري من كان يكلمك ؟ ذاك أبو نواس ، فرجع فحلف عليه بصدقة غنمه إن لم يقبله . وسأل عنه أبو نواس ، فاذا هو من باهلة ، فمدحه ببيتين هما :

وباهليّ من الأعراب منتخب جادت يداه بوافي القرن والذنب

فان يكن باهلياً عند نسبته ففعله قرشي كامل النسب

موشح

ومن مرقص شعر أبي نواس قوله في قصيدة :

سلاف دن كشمس دجن كدمع جفن (١)
كخمر عدن

رأيت علجا ببا طرنجا لها توجى / نوجى
فلم يثن

فاحت بريح كريح شيح يوم صبوح
وغيم دجن

يسقيك ساق على اشتياق الى تلاقي
بماء مزن

يدير طرفا يعير حتفا اذا تكفى
من التثني

على غناء وصوت ناء دواء دائي
من التجني

---

(١) هذا ضرب من الشعر اعتقد انه بداية الموشح في الشعر العربي ، بل هو ذاته موشح ينسجم مع أصوات العيدان ، ونقر الدفوف ، لما فيه من أشطر قصيرة تتفق مع الغناء . ولعل البغاددة يتذكرون الى أيام قريبة غناء للعبيد يشبه هذا النغم تماماً مترسباً في بقية أغانيهم المتوارثة كقولهم :

أنا أحبك ، يا بنت عمي ، والحب جنني

ولثم خـــد كطعم قنـــد لذات قـد
وهي تغـــني

يا من لحاني على زمـــاني اللهو شاني
فـــــلا تلمني

هتكت ستري فبـاح سري وعيل صبري
بطـول حزني

هدية : غلام وقصيدة

شرب صديق لأبي نواس دواء فأهدى له اصحابه هدايا ، فمضى أبو نواس الى باب الكرخ وطلب شيئاً يهديه له ، فنظر الى غلام جميل حسن المنظر ، بديع الجمال ، فراوده فأجابه ، فأراده أن يصيره هدية لصديقه. فلما دنا من بابه رأى الغلام جماعة في الباب يعرفونه ، فجذب يده من يد أبي نواس وولى هارباً فكتب أبو نواس الى صديقه :

يا واحد المكرمات والمنن اعقبك الله صحة البدن
خرجت ابتاع طرفة لك لا تضر في رخصها ولا الثمن
من بين ورد وبين سوسنة وبين ريحانة على فنن
فقلت ظبي منعم غنج احسن من كل منظر حسن
فجئت اقتـــاده بمقوده اخـذت منه جميع . . .
حتى اذا صرت عند بابكم حلّ شباك الهوى وافلتني

فلا تلهني ولم كشاخنة قد لزموا الباب يا فتى اليمن[1]

من مليح ما قيل : « التحرك للغناء ، والسكون للاستماع » ، وكان أبو هفان يطرب له وينشد قول أبي نواس في ذلك :

وأهيف مثل طاقة ياسمين له حظان من دنيا ودين

يحرك حين يشدو ساكنات وتنبعث الطبائع للسكون

قطرب والأصمعي والمبرد

قال أبو علي قطرب : أجود شعر أبي نواس قصيدته التي يمدح بها الفضل بن يحيى بن خالد :

أربع البلى إن الخشوع لبادي عليك واني لم اخنك ودادي

واظنه إنما بالغ في ذكر هذه القصيدة ، واشاد بها لأن أبا نواس ذكره فيها فقال :

خليلية في وزنها قطرية نظائرها عند الملوك عتادي

ولم يذكر قطرباً النحوي فيها إلا لأنه يرأى رأيه ، وكان رأيهما الاعتزال وهو رأي النظام ، وعليه اخذ أبو نواس ، وأراد أن يغيظ الأصمعي بذكره ، لأنهما جميعاً اخذا عن خلف الأحمر ، وكان الأصمعي يعادي قطرباً لأشياء يخالفه فيها ، ولذلك قال أبو نواس يهجو الأصمعي :

واني رأيت الدعي الأصمعي من اللؤم ازهى من الأعرج

---

(١) الكشاخنة جمع كشخان وهو القواد .

يعني الأعرج العالي (؟) فقيل له : لم هجوته ببيت واحد ؟ فقال : أوليس بيت واحد لنا فيه كثير ، ثم قال :

وبيت هجونا به الأصمعي ولابد للبيت من مخرج

وقصيدته في البرامكة التي أولها :

« أربع البلى ان الخشوع لبادي »

من خيار شعره : اثنى عليها المبرد ثناءً كثيراً ، ولكن جماعة طعنوا فيها طعناً موجعاً . قال محمد طباطبا العلوي : انكر على أبي نواس افتتاح هذه القصيدة ، لما سمعه الفضل تطير منه تطيراً منكراً ، فلما انتهى الى قوله :

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغادي

استحكم تطير الفضل وضاق ذرعه ، يقال انه لم يمض اسبوع حتى نزلت بهم النازلة .

انشاده الامين

كان الفضل بن الربيع قد استأذن له على الأمين ، بعد ان ألح عليه في ذلك فلما دخل على الأمين دهش وتقنع وحار ، فلما مثل بين يديه ، امتنع عليه الشعر وارتج عليه ، ورام الانشاد بكل طريق فلم يقدر على شيء فوقف ملياً لا ينطق بشيء والفضل يلحظ ذلك .

قال ابو نواس : فسمعت الفضل يقول : جلالة الخليفة ، وهيبة الامامة وعظمة هذا المقام الشريف ، منعه من الكلام ، فاجعل هذا اليوم يوم

السلام . وغمزني الفضل بعينه فخرجت ، ثم جئت الفضل وشكوت اليه ما نالني فقال : والله كدت تضحكني فسألته ان يعيد الاستئذان ففعل بعد مدة ، فلما دخلت غمضت عيني ، فنظرت اليه يبتسم فانشدته :

يا دار ما فعلت بك الأيام لم تبق فيك حشاشة تستام

فجعل يتهلل وجه الفضل سروراً الى ان انتهيت وخرجت مسروراً .

خليفة وابيات

أنشد المأمون قول ابى نواس :

كل محب سواي مستور والناس إلا عن قصتي عور
كأن عيني عين عليّ لهم فكل طي لديهم منشور
ما إن بغيت الحديث أنشده حتى تهاداه بينهـــا دور
يخرج من هذه ويدخل في تلك وعنه القناع محسور
فما احتيالي وقد خلقت فتى تجري بمـــا ساءني المقادير
لكن وجه الذي كلفت به محتمل ذا له ، ومغفور

فقال المأمون : انا ذلك الرجل ، وهذه قصتي ، ان الخليفة لايخفي له حديث ولا يتمتع بما يريد ، وهذه الأبيات قالها في عبدالعزيز بن جعفر بن سليمان .

ومما كان يختاره ابو هفان من شعر ابى نواس قوله :

مازلت استل روح الدن في لطف واستقي دمه من جوف مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في بدني والدن منطرح جسماً بلا روح

وكان ابو موسى المنجم يبغض ابانواس فاذا قيل له بماذا ؟ قال : اخزاه الله حيث يقول :

تقول اذا تطالع في مرآة هي الشمس التي لا شك فيها
انا والله صالح للمعاصي اذا اهل الذنوب تعارفوها

* * *

واني حين آكل خبز عمرو لاسمع من ابي ليث هزبر
اشق رغيفه شقاً عنيفاً واعمل في ترايده بأمر
فان يصبر يذق حزناً طويلاً وان يجزع ألذعه بشعري
فتى لرغيفه قرط وشنف وواسطتان من در وشذر
ودون رغيفه قلع الثنايا وحرب مثل وقعة يوم بدر
اذا فقد الرغيف بكى عليه بكا الخنساء إذ فجعت بصخر

النواسي وابليس

كان ابو نواس قد اظهر توبته عن الشرب والمجون ، وشاع ذلك بين خلطائه واصحابه فاراد ان يؤكده عليهم فقال :

نمت الى الصبح وابليس لي في كل ما يؤثمني خصم
رأيته في الجو مستعلياً ثم هوى يتبعه نجم
اراد للسمع استراقا فما عتم ان اهبطه الرجم
فقال لي لما هوى : مرحباً بتائب توبته وهم
هل لك في عذراء محكورة في ثوبها حرح لها ضخم ؟
وشعرها جثل على متنها اسود يحكي لونه الكرم
فقلت : لا ، قال فتى امرد يرتج منه كفل فعم

كأنه عذراء في خدرها وليس في إنيته عظم
فقلت : لا ، قال : فتى مسمع يحسن منه النقر والنغم
فقلت : لا ، قال : ففي كل ما شابه ما قلت لك الحزم
ما أنا بالآيس من عودة منك على رغمك يا فدم
لست أبا مرة إن لم تعد بغير ذا في فعلك الغشم

هجاؤه للخصيب ومصر

شرب ابو نواس عند الخصيب وكان يكره شراب مصر ، ولا يمكنه الخمر بها ، وكان الخصيب يخص بشراب يحمل اليه ، فقال ابو نواس : ما أرى استيثار الخصيب علي بشرابه . فقيل له هو كذلك . فقال :

يخص خصيب بالشراب ويرتجى لديه نوالاً ان ذا لعجيب
وليس خصيب بالخصيب لضيفه ، ولكنه وعر المحل جديب
فمن كان ذا أهل بمصر وثروة فاني بها صفر اليدين غريب

كان هاشم بن حديج احد سراة اهل مصر واسع الأدب والفلسفة ، فشكا الى ابى نواس وهو بمصر قصر آجال اهلها ، وقد جاء في الحديث انه اجتلب اليها كل قصير العمر ، وان اعمار اهلها لقصار ، فقال ابو نواس فقد عوضكم الله من ذلك ان دنياكم مستوية ، لا حر ولا برد عندكم ، وانكم تتصرفون في حوائجكم سائر نهاركم في اوله وآخره وفي وسطه وليس هذا لأحد غيركم ، فقال له ابن حديج لقد سليتني بقولك يا ابا النواس .

الشعر المرجع

ومن غريب شعره « المرجع » الذي قاله في يحيى بن خالد :

قل ليحيى الخير قلبي فاسد فاسد قلبي ليحيى الخير قل
صل ذوي الأرحام واعرف حقهم حقهم واعرف ذوي الارحام صل
كل الى الرحمن جاراً صادقا صادقا جاراً الى الرحمن كل

عقيدته في تشيعه

قال ابو سهل اسماعيل بن علي النوبختي : قال عمي لابي نواس ، ما رأيت اوقح منك ، ما تركت خمراً ولا طرداً ولا غزلاً ولا هجاً ولا مديحاً ولا معنى إلا قلت فيه شيئاً ، وهذا علي بن موسى في عصرك لم تقل فيه شيئاً . فقال : والله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له ، وليس قدر مثلي ان يقول في مثله . ثم انشدني بعد ساعة :

قيل لي : انت اوحد الناس طراً في فنون من المقال النبيه
لك من جيد القريض مديح يثمر الدر في يدي مقتنيه
فعلى م تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه ؟
قلت : لا استطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

ثم قال لي بعد مدة : انشدت الابيات للامام علي بن موسى رضي الله عنه فقال : حدثني أبي عن جدي الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم : ان رسول الله (ص)

قال : « ان محبينا اذا راموا الثناء علينا ، والمحبة لنا ، أيدهم الله بروح القدس » . وروى ابو نواس الحديث .

وكان مما رواه عن حماد بن مسلم عن ثابت بن أنس قال . قال رسول الله (ص) : لا يموتن احدكم حتى يحسن ظنه بالله عز وجل ، فان حسن الظن بالله عز وجل ثمن الجنة » .

فى مجلس القصاص

حضر ابو نواس مجلس ابن عائشة الفقيه التيمي ، فظن الناس انه قد نسك فهنؤه ، فقال : حضرت لأجل هذا الغلام ، واومأ الى غلام كأنه الغزال في المجلس فقال :

خليـــاني والمعـــاصي ... ودعا ذكـر القصاص
واسقياني الخمر صرفاً ... في اباريق الرصاص
وعلى وجه غزال ... طائع ليس بعاصي
بين فتيان كرام ... قد تواصوا بالمعاصي
وعلى الله وان فر ... طت في ذاك خلاصي

كلام الليل يمحوه

أرق محمد بن زبيدة ذات ليلة ، فاقبل يدور في مقاصيره ، فلقيته جارية من جواريه ، عليها مطرف خز تجر اطرافه ، فراودها عن نفسها ، فقالت : تصير الى مقصورتي غداً . فلما أصبح أتاها فقال لها : الوعد ؟

فقالت : كلام الليل يمحوه النهار . فخرج وجلس في مجلسه وأمر باحضار من بالباب من الشعراء ، فاذا بابي نواس والفضل الرقاشي وابو مصعب ، فدخلوا فقال : لينشد كل واحد منكم أبياتاً آخرها « كلام الليل يمحوه النهار » فقال الرقاشي :

متى تصحو وقلبك مستطار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صباً مستهاماً ... فتاة لا تزور ولا تزار
اذا ما جئتها وعدت وقالت : ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال أبو نواس :

وخود اقبلت في القصر سكرى ... وزين ذلك السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها ... من التجميش ، وانحل الأزار
وهز المشي ارداقاً ثقالاً ... وغصناً فيه رمان صغار
فقلت : الوعد سيدتي فقالت : ... كلام الليل يمحوه النهار

فقال الأمين : عليّ بجلاد يضرب أبا نواس سبع مئة سوط . فقال : يا امير المؤمنين ! هذه جائزتي ؟ قال : انك وصفت شيئاً كأنك كنت معنا ، فقال : يا امير المؤمنين ! ما كنت معكم فيه ، ولكني سمعت لفظك فأتيت بمعانيه ، وبنيت عليه . فأمر لهم بجوائز وصرفهم .

يشرب ماء الجنة وينام خلف الناس

لما حبس أبو نواس لما ذكر عنه من الزندقة ، فلم يزل محبوساً في حبس الزنادقة حتى مات الرشيد ، وقام الأمين فعرض عليه أسماء من

في الحبس ، وكان المتولي عليهم خال الفضل بن الربيع ، فقال لأبي نواس : أزنديق أنت ؟ قال : معاذ الله ، قال : لعلك ممن يعبد الكبش قال : أنا آكل الكبش بصوفه ، قال : فلعلك ممن يعبد الشمس ، قال : اني لأترك القعود فيها بغضاً لها ، فكيف اعبدها ؟ قال : فتذبح الديك ؟ قال : ذبحت الف ديك ، لأن ديكاً مرة نقرني ، فحلفت أن لا آخذ ديكاً إلا ذبحته ، قال : فلأي شيء حبست ؟ قال : اتهموني اشرب شراب اهل الجنة . وانام خلف الناس . قال : ومالك ذنب غير هذا ؟ قال : لا والله . قال : فأنا ايضاً افعل مثل هذا فعلى م حبست ؟ ثم خرج الى الفضل وقال له : أما تخشون زوال النعمة ؟ تحبسون من لا ذنب له وتجلدوه ؛ فقال : ما القصة ؟ قال : رجل في الحبس سألته عن خبره فقال : كذا وكذا ، فعرفه وضحك حتى استلقى . ثم دخل على الأمين فأخبر الخبر ، فضحك وقال : ليس عليه بأس ، فبلغ ذلك أبا نواس فقال هذه الأبيات ، وبعث بها الأمين :

أرقت وطار عن عيني النعاس ... ونام السامرون ولم يواسوا
أمين الله قد ملكت ملكاً ... عليك من التقى فيه لباس
ووجهك يستهل به فيحيا ... به في كل ناحية أناس
كأن الخلق ركب فيه روح ... له جسد ، وأنت عليه راس
تساس من السماء بكل يسر ... فأنت تسوس به كما تساس
فديتك ان عمر السجن بأس ... وقد ارسلت : ليس عليك باس

فلما انشد الأبيات قال : صدق والله ، فجيء به في الليل وكسرت قيوده ، وخرج حتى دخل عليه ، فأنشأ يقول حين استقبله :

مرحباً مرحباً بخير إمام صيغ من جوهر النبوة بحتا
يا امين الاله يكلؤك اللـــه مقيماً وظاعناً أين سرتا
إنما الأرض كلها لك دار فلك الله صاحب حيث كنتا
يا شبيه المهدي جوداً وبذلاً وشبيه المنصور هدياً وسمتا

فخلع عليه وأجازه وحمله ، فلم يخرج ومعه من المال شيء إلا الخلعة والمركب ، وفرق المال جميعه على الخدم .

حاجة ونديم

ومن شعره في المجون قوله :

قد هجرت النديم والندمانا وتمتعت ما كفاني زمانا
وابي لي خليفـــة الله إلا عزف نفسي فقد عزفت وآنا
ولقـــد طالما أبيت عليه في أمور خلعت فيها العنانا
وغزال عاطيته الكأس حتى فترت منه مقـــلة ولسانا
قال : لا تسكرنني بحياتي ، قلت : لابد ان ترى سكرانا
أنا لي حاجة اليك اذا مـ ـت فان شئت فاقضها يقظانا
فتلكا تلكؤاً في انثناث ثم اصغى لما أردت فكانا

قال محمد بن احمد الوارق : رأيت بقطربل شعراً مكتوبا على حائط بماخور ، وذكر انه رأى ابا نواس كتبه بيده على الحائط وهو :

لا يغضبن منادمي إن نكته إني لنيك منادمي معتاد
وكذاك لست ألومه ان ناكني ولقد علمت كما أكيد أكاد

معنى آية في الخمر

قال الحسين بن الضحاك : كنت يوماً أساير ابا نواس بالكوفة بكتاب واذا صبي يقرأ في سورة البقرة : « كلما أضاء لهم مشوا فيه ، واذا أظلم عليهم قاموا » فقال ابو نواس ويلك ! أي معنى يستخرج من هذا في الخمر ؟ فقلت ويحك الا تتقي الله بكتاب الله عز وجل ؟ فلما كان في الغد انشدني :

وسيارة ضلت عن القصد بعدما ترادفهم جنح من الليل مظلم
فاصغوا الى صوت ونحن عصابة وفينا فتى من سكره يترنم
فلاحت لهم منا على البعد قهوة كأن سناها ضوء نار تضرم
اذا ما حسوناها أناخوا مطيهم وان مزجت حثوا الركاب ويمموا

قال خلف بن محمد المزني صاحب أبي نواس : مضيت مع أبي نواس الى فارس فنزلنا بشعب بوان ، فنظر الى صخرة ملساء فوقها صخرة مطلة عليها ، وقد تغذينا ، فقال لي : هذا موضع ينبغي أن يكتب فيه شعر ، فقلت : شأنك فكتب :

وما لبس العشاق يوماً من الهوى ولا خلعوا إلا الثياب التي أبلى
ولا شربوا كأساً من الحب مرة ولا حلوة ، إلا وشربهم فضلى

ومن شعر أبي نواس قوله :

نابذت من باصطبارعنك يأمرني لأن مثلك روحي عنه قد ضقا
مايرجع الطرف عنهاحين يبصرها حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

ومن ظريف معانيه قوله :

وشادن أحور في طرفه فتر ، وفي منطقه غنه
قلت لأصحابي وقد مر بي : أظن ذا فر من الجنة
يعجبني تخنيث الفاظـه والخفر المعسول فيهن

اخباره قبيل وفاته

دخل الجاز على ابى نواس في مرض لم يمت منه فقال : اتق الله ، كم محصنة قذفت ، وسيئة اقترفت ، وكبيرة ارتكبت ، وانت على هذه الحال ؛ فتب . فقال : صدقت يا أبا عبدالله ولا افعل ، فقال : ولم ؟ قال : اخاف ان تكون توبتي على يد مثلك يا عاض بظر امه ، فقال له : إن برئت والعياذ بالله ، كلت لك بالصاع الأوفر . فقال : يا أبا عبدالله ! والله ما أشركت بالله طرفة عين قط .

قال زكريا القشيري : قلت لأبى نواس في علته التي مات فيها . ويحك ! ما أرى في بيتك مصحفاً ؟ فقال لي : النور والظلمة لا يجتمعان .

قال الكرخي : دخلت على ابى نواس في علته فقلت له : ما أشد ما بك من الألم ؟ فقال : ألم الذنوب ، فرجوت الله تعالى عند ذلك .

قال ابو عبدالله محمد بن ابراهيم الصوفي : دخلنا على ابى نواس نعوده في علته التي مات فيها فقال له علي بن صالح الهاشمي : يا أبا علي ! انت

في أول يوم من ايام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنات ، فتب الى الله عز وجل . فبكى ، وقال : ساندوني ، ثم قال : حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشي عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول ﷺ : « لكل نبي شفاعة واني اخبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » افتراني لا اكون منهم ؟ .

وكان يخدمه في علته غلام من الأزد كان يتعلم منه الشعر ، فدخل عليه يوماً فقال : كيف تجدك ؟ فقال : أمري في الحق ، فانا لله على ما فرطت ، وواسوءتاه مما قدمت ، واني لأذكر ما فرط مني فأبكي عليه وأتمنى اني كنت في طاعة الله كما كنت في معصيته .

قال حميد بن سعيد : رأيت أبا نواس قبل موته باسبوع ، وقد اظهر زهداً ونسكا ، فقلت له : يا ابا علي ما هذا ؟ قال : فكرت فعلمت الموت قريب ، فما بقي بعدها إلا اسبوعاً ومات .

* * *

كتب الى قينة :

اني رأيتك في المنام كأنما ... ارويتني من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأنما ... بتنا جميعاً في فراش واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما ... بيد اليمين وفي شمالك ساعدي

فأجابته القينة :

خيراً لقيت وكل ما عاينته ... ستناله مني برغم الحاسد
صل من هويت ودع مقالة حاسد ... ليس الحسود على الهوى بمساعد

يا من يلوم على الهوى أهل الهوى هل تستطيع صلاح قلب فاسد
لم يخلق الرحمن أحسن منظراً من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا متوسدين بمعصم وبساعد

روى محمد بن العباس عن عبد الصمد بن المعذل ان أبا نواس قال : رأيت النابغة الذبياني في منامي فقال لي : بماذا حبسك الرشيد ؟ فقلت له بقولي :

اهج نزاراً وأفر جلدتها وهتك الستر عن مثالبها

ثم قلت له : وأنت بم حبسك النعمان ؟ قال : ببيت قلته ستره النعمان عن الناس ، قلت : أبقولك ؟

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتنـــاولته واتقتنا باليـد

قال : أوهذا مستوراً ؟ فقلت : أبقولك ؟

واذا لمست لمست اجثم جاثياً متحيزاً بمكانه ملء اليـد

فقال : اللهم غفراً . قلت : فبماذا ؟ قال بقولي :

فملـكت أعلاها واسفلها معاً واخذتها قسراً وقلت لها اقعدي

فحدثت بهذا اليزيدي فألحق البيت بقصيدة النابغة .

قال فلما حبسني الأمين رأيت بشاراً في المنام فقال لي : بماذا حبسك هذا الغلام ؟ يعني الأمين ، قلت بقولي :

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً اذا امكن الجهر

فقال : أو يحظر عليك شيئاً وهو يجاهر به ، هلا بدأ بنفسه لعن الله من نقل اليهم الملك . فقلت : فبماذا حبسك جده المهدي ؟ قال بقولي :

قاس الهموم تنل بها نجحا والليل ان وراءه صبحا
لا يؤيسنك من تحذره قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا

حاله أيام الفتنة

قال الجماز : لم يحفل ابو نواس بما حدث بين الأمين واخيه أيام الفتنة ببغداد ، فمن قوله :

قالت : حرام تبتغي قلت : لا من حرم الناس على الناس ؟
نحن جميعاً من بني آدم هل يحرم الورد على الآس
قالت : فمن حلل هذا لكم ؟ قلت : عليّ وابن عباس

قال ابراهيم الطبري : كنت في احد أيام الفتنة جالساً على بابي إذ مر بي ابو نواس ، فقال : قم حتى نأخذ في شأننا ، فدخلنا وجعلنا نشرب ، واقبل الداخل الينا يقول : كان كذا وكان كذا . فقال ابو نواس :

عندي للخمر أسماء لها دواء ، ولها داء
يصلحها الماء اذا صفقت وربما أفسدها الماء
وقائل : كانت لهم قصة فيها أحاديث وأنباء
قلت له : اني امرؤ جاهل فيك عن الخيرات ابطاء
اشرب ودعنا من احاديثهم يصطلح القوم اذا شاؤا

ومن شعره في المجون أيام الفتنة بين الأخوين :

قد رفعنا البزاق مذ شهرين ... إذ رزقنا نداوة الخصيين
ابن عم النبي هـــذا امام ... لا عدمنا قـــدوة الثقلين
يا بغاة الخصان لا تحذروه ... واعفجوهم بقيـــة العصرين
قـد أتانا معاشر الرد تم ... وز يعرق الخصـــيتين
ويلكم اخرجوا لنا خير ظبي ... واجعلوا سعركم لنا درهمين
ارخصوا سعركم فقد شغل النا ... س بشحنا عداوة الأخوين

رأيه في الصحابة

قال محمد نافع الناسك : رأيت أبا نواس في المنام فقلت له : يا أبا نواس ! ما فعل الله بك ؟ فقال : الآن لات حين كنية ، قلت : الحسن ! قال : غفر الله لي بأبيات كثيراً ما اتمثل بها واقولها وهي في وسادتي . فأتوني بوسادته فاستخرجت الرقعة منها فاذا بها مكتوب :

إني رضيت أبا حفص وصاحبه ... كما رضيت عتيقاً صاحب الغار
وقـد رضيت علياً مفرداً علماً ... وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي فاضل علم ... فهل عليّ بهذا القول من عار
إن كنت تعلم اني ما احبهم ... إلا لوجهك فاعتقني من النار

كان زنبور الكاتب يهجو أبا نواس وأبو نواس يهجوه ، فعمل زنبور على لسان أبي نواس شعراً يهجو فيه علياً (ر ض) واشاعه في الناس وهو :

لله رافضة بليت بهم ... يتلاحظون بأعين شزر

يهوون أن أرضى أبا حسن ... لهم ، وابرأ من أبي بكر
فلاجمعن على عداوته ... ولأشهدن عليه بالكفر
ولأشكرن لراحة ضربت ... تلك المفارق آخر الدهر

فوجد بنو نوبخت علة وحجة في أمره ، واستحلوا دمه . فقد اجتمعوا معه في متنزه لأبي سليمان بن أبي سهل ، وكان زنبور الكاتب حاضراً ، فأنشد زنبور الأبيات ، وقد عمل فيهم النبيذ ، فقاموا الى أبي نواس فتناولوه وداسوا بطنه ، فلم يزل يشكو امعاءه حتى مات .

وحدث عنه بعض بني نوبخت قال : حضرت أبا نواس قبل موته ، وبين يديه لوح مكتوب فيه شعر قاله في هجاء علي بن أبي طالب (رض) فابتدأ وجهه يسود ، حتى اسود كله ومات في يومه .

سبب موته

حدث بعض بني نوبخت فقال : شيع الناس علينا في قتل أبي نواس لأنه هجانا ، وذلك باطل . ولكن تحدثوا أن أبا نواس مازح علي ابن سهل ، ولم يكن يجري في الحلم مجرى عبد الله بن سهل والعباس اخويه ، فمازحه أبو نواس قائلاً :

أبو الحسنين كنيته بحق ... فان صفحت قلت أبو الحصين

فوثب عليه فهرب ابو نواس بين يديه ، فدخل دار هارون بن سهل ، فلحقه فصرعه وبرك عليه ، فاستغاث بهارون : خذني من تحته ... قتلني ، فخلصه ، واعتل بعد ذلك بمدة علته التي مات فيها .

وقيل إن اسماعيل بن أبي سهل سم أبا نواس لأنه قد هجاه وذكر أمه ورماه بالبخل والرفض ، فلم يقتله السم إلا بعد اربعة اشهر .

شعره قبيل موته

قال ابو محلم أكثر الناس في ابى نواس ومجونه ، فصار إلي يوماً فقال : يا أبا محلم اسمع مني ما قلت في ليلتي ، قلت : هات ، فانشدني :

يا نفس خافي الله واقتصدي ... وارعي حفاظك رعي مجتهد
من كان جمع المال همته ... لم يخل من غم ومن نكد
يا طالب الدنيا ليجمعها ... جمحت بك الآمال فاقتصد
واراك تركب ظهر مطمعة ... تهوي بها بلداً الى بلد
ولرب ساع فات مطلبه ... لم يؤت من حرص ولا جلد
ومقصر في الرزق خطوته ... ظفرت يداه بمرتع رغد
أوما ترى الآجال راصدة ... لتحول بين الروح والجسد
واذا المنية أمت أحداً ... لم تنصرف عنه ولم تحد
ولو ان دون الموت واقية ... لفديتها بالمال والولد
منتك نفسك ان تموت غداً ... أوما تخاف الموت قبل غد
يا نفس موعدك الصراط غداً ... فتأهبي من قبل ان تردي
ما حجتي يوم الحساب اذا ... شهدت علي بما جنيت يدي

قال : فأبكى والله عيني ، وعلمت انه آخر عمره ؛ فما بقي بعد ذلك إلا يسيراً .

قال غانم الوراق : دخلت على ابي نواس قبل وفاته بيوم فقال لي : يا ابا علي ! ألواحك معك ؟ قلت : نعم قال : أكتب ثم أنشدني :

دب فيّ الفناء سفلاً وعلوا ... واراني اموت عضواً فعضوا
ليس تمضي من لحظة بي إلا ... نقصتني بمرها بي جزوا
ذهبت جدتي بطاعة نفسي ... وتذكرت طاعة الله نضوا
لهف نفسي على ليال وايا ... م تجاوزتهن لعباً ولهوا
قد أسأنا كل الاساءة فالله ... هم صفحاً عنا وغفراً وعفوا

ثم أغمي عليه ، واردت النهوض ففتح عينيه ، ثم قال : يا ابا علي انشدك ؟ قلت : نعم قال : أكتب :

شعر حي أتاك في لفظ ميت ... صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى ... كاد عن أعين الحوادث يخفى
لو تأملتني لتبصر وجهي ... لم تبن من كتاب وجهي حرفا
ولكررت طرف عينك فيمن ... قد براه السقام حتى تعفى

ثم حول وجهه عني واحببت ان يزيدني ، وصبرت له فرد وجهه ، فلم يفعل فقمت ناهضاً فلم يلتفت إلي ، فنظرت اليه فاذا جبينه قد عرق ، وعيناه تدمعان . فدعوت الله عز وجل له بالعافية ، ثم خرجت فما رأيته حتى مات .

شعره قبيل احتضاره

قال محمد بن رافع البصري : كانت بيني وبين ابي نواس مودة ، فاعتل فلما كانت الليلة التي توفي فيها ، وكأنني أمرت بقراءة شعر كتبه عند وفاته ، وبشرت بأنه قد غفر له ، فانتبهت مرعوبا ، وصرت الى منزله فوجدته قد دفن . فطلبت ما كتب حين انتقل الى ربه ، فرأيت ورقة في وسادته فاذا فيها :

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك ربي كما أمرت تضرعاً ... فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم اني مسلم

فاخذت الرقعة وعرفت اهله ما رأيت ، وبشرتهم به . وبلغ ذلك أبا العتاهية فاستحسن الشعر وزاد فيه أبياتاً .

وقال : ورأيته في النوم فقلت له : ابا نواس ! فقال : لات حين كنية ، قلت : الحسن بن هاني ! قال : نعم قلت : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي . قلت : بأي شيء ؟ قال : بتوبتي قبل موتي ، وبأبيات قلتها هي عند أهلي . فلما كان من الغد صرت الى أمه ، فلما رأتني أجهشت بالبكاء فقلت لها :

اني رأيت كذا وكذا ، فاخرجت إلى كتباً مقطعة فوجدت فيه بخط غريب :

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت . . . الأبيات

قال الحسين الخليع : كان بيني وبين ابى نواس صحبة ومودة لم تكن بين اثنين قط ، فلما مات اشتد جزعي عليه ، فبينا انا ليلة من الليالي مفكر فيه ، متحسر عليه ، إذ غلبنى النوم ، فنمت فرأيت في منامي كأني قد دخلت قصراً لم أر مثله حسناً ، واذا ايوان في صدره سرير وابونواس فوق ذلك السرير على رأسه تاج ، فلما رآني قال لي : حسين ! قلت : لبيك ، بم نلت ما بلغ بك هذا المبلغ ؟ قال : ان الله تجاوز لي عن مجوني بالتوحيد . ثم قال : قد علمت ما كان بيني وبين اسماعيل بن نوبخت من الصحبة والمودة ، وانه قد احتفر الى جانب قبري بئراً ، وصنع سقاءً وهو يكثر البكاء ، فاحب ان تبلغه هذه الأبيات وأنشدني :

سكبت على دمعك بعد موتي فهلا كان ذا اذ كنت حيا
أتبكي بعد قتلك لي عليا ومن قبل الممات نعي إليا
فيامن بزني عقلي وروحي وعاداني وما أبقى عليا
تجاف عن البكاء ولا تزده فاني ما رأيت صنعت شيا

حدث من شهد ابا نواس وقد احتضر يقول :

أيا رب قد أحسنت بدأ وعودة إلي فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر مدلاً بعذره فعذري إقراري بان ليس لي عذر

ثم أغمي عليه فلما أفاق قيل له : قل لا إله إلا الله فقال : آه . . آه . . ثم أنشد :

لهف نفسي على الحياة وفي أي هوان دهنني الأومان

حين ولى الشتا وقد أقبل الصيف وطاب الشراب والريحان

ثم بكى وقال :

يا نواسي توفر وتعزى وتصبر
إن يكن ساءك دهر فبما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفـ والله من ذنبك أكبر ـو

فرثاه الأزدي الذي كان يخدمه في علته التي مات بها فقال :

مات البديع وأودت دولة الفطن واستدرج الموت خير الناس في كفن
لله ما ظفرت أيدي المنون به وما تضمنت الأكفان من حسن

وللحسين الضحاك فيه .

نازعنيك الزمان يا حسن فخاب سهمي وافلح الزمن
ليتك لم تكن بقيت لنا لم تبق روح يحوطها بدن

وبعث بنو نوبخت اليه بأكفان كل واحد من بيت ، وتشاحنوا في ذلك ثم اتفقوا على ان يكفن في جميعها ، ودفن بالتل المعروف بتل اليهود ، على شاطيء نهر عيسى في مقابر الشونيزي .

قيل : ومات في بيت خمارة كان يألفها .

ضنه على الناس بشعره

قال محمد بن منصور الصيرفي الذي مات ابو نواس في منزله وهو الذي قال فيه :

وذاك محمـــد تفديه نفسي وحق له . وقل له الفداء

نزل ابونواس قبل موته بخمسة ايام في الغرفة التي مات فيها وطلب كانونا فيه فحم ، وأمر بزيادة الفحم عليه ، فلما اشتعل وقويت ناره ، اخرج كتباً كانت في أحد كميه ، فوضعها على النار ، فلما احترقت اخرج من كمه الآخر كتباً اخرى فاحرقها ايضاً ، فسألته عن ذلك فقال : هـذه أشعار كنت أضن بها ولا اريد ان يسمعها الناس ، وكرهت ان تبقى بعدي فينتحلوها فاحرقتها .

وصيته وتركته

قال زكريا القشيري : دخلت على ابي نواس في علته التي مات فيها فقال : كنت أكرهك وأبغضك اذا لقيتك ، ولا أعلم السبب في ذلك فلما اعتللت اوصيت اليك ، فعلمت ان وصيتي اليك هي السبب في كراهتي لك . وكانت وصية ابي نواس ما صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به المسرف على نفسه ، المغتر بأمله ، المعترف بذنوبه ، الحسن بن هاني . أوصى وهو يشهد ان لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ولا ند ولا مثل ، وكل معبود سواه باطل وان محمداً بن عبدالله بن عبد المطلب عبده ورسوله الى عباده ، وخيرته من خيرته من خلقه ، وأن ما جاء به حق كله ، على ذلك نحيا ، وعليه نموت ، وانه لا يرجو الخلاص من عذاب الله إلا بشفاعـــة محمد ، وبالاعتراف بذنبه ، والثقة بعفو ربه . واوصى بكذا وكذا .

ولما عاده بنو بنوبخت وقالوا له : اوصنا ، فقال: اوصيكم أن لا تشربوا الخمر على الريق ، فانها هي التي قتلتني .

قال زكريا القشيري : اوصى أبو نواس إلي ، فبينا أنا ذات يوم بعد موت أبي نواس بمدة ، اذا بشيخ خاضب بحمرة ومعه عجوز ، فسأل عني ولم يعرفني ، فقلت : أنا هو فماذا تريد ؟ قال : بلغني ان أبا نواس أوصى اليك قلت : نعم ، فمن أنت ؟ قال : أنا زوج أم أبي نواس وهـذه أمه جلبان . فأخذت بيده وادخلته دار بني نوبخت وصحت : هذا زوج أم ابي نواس وهذه أمه جلبان . فاجتمعوا يسألونه ، وتأسفوا ان لا يكونوا عرفوا ذلك قبل موته فيعتنون به .

قال زكريا : كان ما سلمته لوالدة ابي نواس من تركته ما قيمته اقل من مئتي درهم . وكان الذي خلفه : قمطر فيه دفاتر واضاف جزازات وقراطيس فيها اشعار ، وغريب ألفاظ ، ونرد ، وشطرنج ، وعود ، وطنبور .

ولم يكن مع ذلك احفظ منه لكل شيء يخوض فيه الناس ، ولا أوسع علماً مع قلة كتبه ، وما كان يعتمد إلا على ما في صدره .

قال الجاحظ : لما مات ابو نواس حضرت لاشترى من كتبه شيئاً فاخرج لنا قمطر ما فيه الا لغات العرب ، وما فيه من شعر شاعر البتة .

وكان عمر ابي نواس تسعاً وخمسين سنة . وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين .

الفهرس

الصفحة		الصفحة	
٣	المقدمة	٢٢	مجانة وبديهة
٥	عجبت من ابليس	٢٣	الويل للشعراء
٧	اطلال قبلة	٢٤	وجهك والحرام لا يجتمعان
٧	نخمة في المعاصي	٢٤	المجون ظرف
٨	ساقية للرشيد	٢٥	حاجة
٩	زواج المأمون	٢٦	الظرف والأدب
١١	مصالتة	٢٦	وعين الرضا
١٢	من شعر الشباب	٢٨	شعر وخمر
١٤	العباسة أخت الرشيد	٣١	أشعر الناس
١٥	مشافهة الأحداث	٣٢	فتاء ومروءة
١٦	اسقني حتى تراني	٣٥	مراسلة شعرية
١٦	القصيدة الابراهيمية	٣٦	هجاء واقذاء
١٨	قاضي ودواء الخمار	٣٧	من كل واحد
١٩	دياثة	٣٨	دعوة
١٠	فتى الفتيان	٣٨	ليلة داعرة
٢١	ايام العجوز	٤١	تجميش والى آخره
٢١	خاتم أبي نواس	٤٣	يا شقيق النفس

الصفحة	
٤٥	صفة الطلول
٤٦	مجلس للبرامكة
٤٩	رعية وراع
٥٠	معابثة ورأي
٥٠	شهوة ومنية
١٥	زهد وعظة
٥١	سجنه واطلاقه
٥٢	يكذب بالدين
٥٤	النواسي ضمير مستتر
٥٥	دعوة بشرط
٥٦	القلوب
٥٦	مقامرة
٥٧	سجنه واطلاقه ثانية
٦٠	توبة فتكذيب
٦١	سجنه بكفره
٦٢	جزاء اللوطي والزاني
٦٣	رأي ابي تمام فيه
٦٤	بيت ثمن قبلة

الصفحة	
٦٥	عطاء ومنع
٦٦	مساومة بالشعر
٦٧	موشح
٦٨	هدية : غلام وقصيدة
٦٩	قطرب والأصمعي والمبرد
٧٠	انشاده الأمين
٧١	خليفة وابيات
٧٢	النواسي وابليس
٧٣	هجاؤه للخصيب ومصر
٧٤	الشعر المرجع
٧٤	عقيدته في تشيعه
٧٥	في مجلس القصاص
٧٥	كلام الليل يمحوه
٧٦	يشرب ماء الجنة
٧٨	حاجة ونديم
٧٩	معنى آية في الخمر
٨٠	اخباره قبيل وفاته
٨٣	حاله ايام الفتنة

الصفحة		الصفحة	
٨٤	رأيه في الصحابة	٨٨	شعره قبيل احتضاره
٨٥	سبب موته	٩٠	ضنه على الناس بشعره
٨٦	شعره قبيل موته	٩١	وصيته وتركته

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
الغلاف		لسان العربي	لسان العرب
٨	١٠	يريك	يريد
٢٠	٨	ويبلغه	ويبلغهن
٢١	١٥	سفر	سفيان
٣٢	١٦	جمره	حجره
٦٢	٦	وينتظرون السقطات	وينتظرون مثل هذه..
٦٧	٥	لها ترجى	لها توجى
٦٨	٥	وعيل صيري	وعيل صبري

وهناك أخطاء بسيطة لا تفوت القارىء اللبيب .